20 عاما
السنة العشرون / (أبريل - يونيو) ٢٠٢٥

حراء

مجلة علمية ثقافية أدبية

101
WWW.HIRAGATE.COM
Hira Magazine | Knowledge - Cultural - Literary |April - June 2025

سلم الوصال

إذا أدركتَ سُلَّـمَ الاتّـصالِ فَـدَربُـكَ للـخُلُودِ وللـكَـمالِ
وإلا لـنْ تُـمَـيِّـزَ أيَّ شـيْءٍ ولَـنْ تلـقَى يمِينًا مِنْ شِـمالِ
وفي المجْهولِ تَكْبُو دُونَ هَدْيٍ كَسِـيرَ العَـزْمِ مِنْ ثِقَلِ الرِّحَالِ

٢ سحر الإسلام
فتح الله كولن
١٧ جدوى الغذاء في النمو والذكاء
أ.د. محمد فتحي فرج
٥٢ الأخلاق بين الإسلام وغوايات البشر / **محمد جمال حليم**

رسالة إنسانية

في هذا العدد من مجلة "حراء"، نرحب بقرَّائنا الأعزاء في رحلة فكرية علمية وأدبية تتنقل بين الحاضر والمستقبل، وبين الروح والمادة. يتجلى في صفحات هذا العدد تنوعٌ يلامس شغف القارئ وفضوله، حيث يستعرض موضوعات تتراوح بين الفلسفة الإسلامية وعلوم الروبوتات، بين جماليات البيئة وتأثير التكنولوجيا على المجتمع، وبين التربية والتسامح.

يطلّ علينا الأستاذ فتح الله كولن في مقاله المتصدر لهذا العدد "سحر الإسلام"؛ ليؤكد على أن الإسلام نظام كوني يحمل سحر الأبدية والخلود، وأنه استطاع أن يقدِّم إجابات شاملة للوجود الإنساني، وأن يكون شجرة باسقة جذورها في الأرض وأغصانها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. ولكن "إن لم تنصت القلوب للإسلام، فلا يستطيع الإسلام إيصال صوته إليها. وإن لم يتم تمثيلُ الإسلام بشكل صحيح، خَفَتَ صوته وعجز عن التأثير في الأرواح".

ونغوص في عالم الروبوتات الحيوية مع الدكتور "ناصر أحمد سنه" من خلال مقاله "الروبوتات الحيوية محاكاة للكائنات الحية"، لنكتشف كيف أصبحت الكائنات الحية مصدرَ إلهام لتطوير روبوتات قادرة على تسلق الجدران مثل الحشرات، أو السباحة في الأعماق مثل الأسماك. كما نتعرف على "الخنافس ودورها الفعّال في التوازن البيئي" مع الدكتور "محمد السقا عيد"، الذي يرى أنْ لا بد للبشر تَقَبُّل التعايش مع الحشرات المفيدة، التي تحافظ على الصحة وتوازن البيئة، وأن يدركوا جيدًا أن هذه الحشرات الصغيرة ما زالت مصدر إلهام للعلماء في مجالات الطاقة والطب والبيئة.

أما الدكتور "يحيى وزيري" فيطرح في مقاله "مدن بلا سماء" تساؤلات عميقة عن فقدان الاتصال بالسماء بسبب التلوث الضوئي والعمران المتزايد، مشيرًا إلى أن فقدان السماء يترك أثرًا عميقًا على الإنسان، لأن "حجب النجوم والكواكب والشمس والقمر، يحرم الإنسان من تجربة حسية غنية، ويقلل من شعوره بالاتصال بالكون الواسع".

ويناقش الأستاذ "سعيد بو عيطة"، أهمية التربية على التسامح كأساس لبناء المجتمع المدني، بينما يقدم الدكتور "محمود شعبان" رؤية متميزة حول "قوة الألعاب التعليمية" في تحويل الترفيه إلى أداة للتعلم والإبداع. والباحثة الألمانية "جينيفر بيكر" في مقالها "الذكاء الاصطناعي والكتابة" تثير تساؤلات حول مستقبل الأدب في عصر التكنولوجيا، وكيف يمكن للذكاء الاصطناعي أن يكون شريكًا للإنسان في الإبداع رغم التحديات الأخلاقية والقانونية.

هذا إلى جانب مقالات قيمة أخرى دونتها أقلام نيرة في هذا العدد، لتقدم رؤية تجعل من المعرفة نبراسًا يهدي العقول، ويزرع في الأرواح شغف الاكتشاف وبهجة المعنى.. نتمنى لكم قراءة ممتعة ومثمرة. والله من وراء القصد. ■

المحتويات

سحر الإسلام / فتح الله كولن (المقال الرئيس)	٢
الروبوتات الحيوية محاكاة للكائنات الحية / أ.د. ناصر أحمد سنه (علوم)	٥
مدن بلا سماء.. اغتراب الإنسان في المدينة الحديثة / أ.د. يحيى وزيري (ثقافة وفن)	٩
التربية على التسامح وبناء المجتمع المدني / سعيد بو عيطة (قضايا فكرية)	١٣
جدوى الغذاء في النمو والذكاء / أ.د. محمد فتحي فرج (علوم)	١٧
الخنافس ودورها الفعال في التوازن البيئي / د. محمد السقا عيد (علوم)	٢١
مقاطع ريلز وتأثيرها في الواقع الاجتماعي / أحمد السيد أحمد (تربية)	٢٥
نفايات الدماغ أزمة معقدة وحل مثالي / د. صهباء بندق (علوم)	٢٨
العيد السعيد / فتح الله كولن (قطوف)	٣٢
الذكاء الاصطناعي والكتابة.. هل انتهى دور الإنسان؟ / جينيفر بيكر (قضايا فكرية)	٣٤
حين يُرضي الإنسان ربَّه / د. علي الخطيب (قضايا فكرية)	٣٧
الرسالة الإنسانية عند فتح الله كولن.. بين الروحانية والواقعية / محمد أبو المفضل (قضايا فكرية)	٤١
من الترفيه إلى التمكين.. قوة الألعاب التعليمية / محمود شعبان (تربية)	٤٥
التأصيل الدعوي لقضية جبر النوافل للفرائض / د. محمد عباس المغني (قضايا فكرية)	٤٨
الأخلاق بين الإسلام وغوايات البشر / محمد جمال حليم (قضايا فكرية)	٥٢
الباراسيكولوجي.. الخوارق بين الوهم والحقيقة / خلف أحمد محمود أبو زيد (علوم)	٥٥
خصائص من كتبوا كلام السماء / أ.د. عبد العظيم أحمد عبد العظيم (قضايا فكرية)	٥٨
التسمية الحميدة وتشكيل هوية الأبناء / د. أحمد محمد القزعل (تربية)	٥٩
آخر تمتمات الروح / عبد النبي نصر (شعر)	٦٣

سحر الإسلام

وصلت مغامرة الإنسانية على هذه الأرض بالإسلام إلى هدفها، كرسالة إنقاذ عالمية استقرت وتأصلت فيها. أما الفلسفة التي ما فتئت حائرة أمام لغز الوجود، فقد استطاعت -بفضل نظم التفكير المتميزة والمتفردة التي جاء بها الإسلام- أن تعود لنفسها قليلاً وأن تتمتم ببعض الأشياء الإيجابية. لقد تخلصت الأجرام والأجسام الهائلة الموجودة في الأرض وفي السماء -بفضل النور الذي سلطه الوحي على وجوهها- من كونها مجردَ أجسام فضائية معقدة، وتحولت إلى معارض هائلة، وإلى كتب للقراءة والتأمل، وإلى أنغام متناسقة تأخذ بالألباب وتدير الرؤوس، وإلى ألسنة بليغة وطلقة تهتف وتُفشي -في إطار حكمة خلقها- أسرارَ ما وراء خلْقها. وأصحاب القلوب المحظوظة، الذين تيسر لهم أن ينهلوا مرة واحدة من ينبوع الإسلام المتفجر دومًا بالماء السلسبيل، يصلون إلى متعة الشعور بلذة الوجود الأبدي وسعادته، فيتخلصون من شقاء الوحدة واليأس النابعَين من جبلَّتهم وطبيعتهم.

الذين يعيشون الإسلام كما أنزل؛ يحيون بقلوبهم في هذه الدنيا وكأنهم يعبّون من كؤوس اللذة في جنة الفردوس. وإذا استثنينا الذين يفسرون الإسلام كما يحلو لهم، فإن من تعرف بظله مرة واحدة، يتخلص من قلق العدم والفناء، ومن ظلام وعقدة الوعود الكاذبة، ويأخذ نفَس راحة ولو لمدة مؤقتة. وإذا كان هناك أي فكر فتحه الإسلام أمام المؤمنين به، وأي حياة أخرى موعودة خارج هذه الحياة، فهي حياة الجنة للمؤمنين. والقدرة الإلهية الخالقة، مهدت للمؤمن حتى النقطة الأخيرة لما وراء أفق الدنيا وأعطته خاتم سليمان، لذا بدأ السلاطين باتباع العدالة، وأصبحت القوة حامية للحق، وانفتحت الأبواب على مصاريعها أمام العلم، وانكسرت القيود والأغلال التي كانت تعيق حرية الفكر، وتوجهت الشياطين -بعد

نـزعها لقرونها- إلى المعابد، وتخلى الملوك عن ظلمهم وجبروتهم، وساروا في طريق العدالة.

وبفضـل الحكمـة المنبثقة عـن روح الإسلام (يمكن إطلاق تعبير الفلسـفة الإسلامية على هـذه الحِكَم) تغير الوجـه العـام للفكـر، وتغيـرت معالم وجـه الأرض حتى أصبحت تشبه ديباجًا رائعًا، وتحول الوجود والحوادث إلى خطيب مفوَّه وواعظ مؤثِّر، كما انقلب أديم الأرض إلى أمّ رؤوف تضم الجميـع إلى صدرها الحاني، وبدأت الميـاهُ تبعـث بخريرهـا نغماتِ العشـق والْوَلَـه والوصال إلى قلوبنا، وتُسـمعنا أنغام اللانهاية. أما الجبال المهيبة، والوديـان، والسـهول المنبسـطة، فقـد أصبحـت ممثلة وصوتًـا لعمـقٍ يتجـاوز كيانهـا وبنيتهـا الماديـة، وبـدأت البسـاتين والحدائق تمطرنا بألوانها المختلفة بالبسمات، وتُقـدم الورودُ والأزهارُ بكل سـخاء أروع أنواع الجمال التـي تدير الرؤوس وتعْرضهـا أمام أنظارنا وقلوبنا، حتى ذاقت أرواحنا فرحة الوجود، وذاق العارفون بالله سعادة لا يمكن التعبير عنها ولا وصفها.

أمـا أصحـاب الحـظ النكِـد، الذين لـم يدركـوا بعدُ أن الإسلام أعظـم هديـة مـن الله تعالـى إلـى الإنسـانية -وهذا ناتـج إمـا عن حكم مسـبق، أو عن سـوء تمثيل المسـلمين للإسلام- فهـؤلاء لا يفهمـون الرسـالة التـي قدمهـا ولا يدركونهـا، ولا يسـتطيعون فهـم وعـوده وبشـاراته ولا الإحسـاس بهـا. ولا يتغيـر هـذا الأمـر السـلبي عنـد أمثـال هؤلاء، حتى وإن داروا حوله وتجولوا بقربه. فهم قريبون منه ظاهرًا، ولكنهم بعيدون عنه جدًّا في الحقيقة. ينظرون إليـه علـى الدوام، ولكنهم لا يفهمونه أبدًا؛ لوجود غشـاوة علـى أبصارهـم. حتـى إن قربهم منه يصبح وسـيلة وسـببًا للبعد عنه، ويصبح النظر إليه وسيلة لعدم الإبصار ولعدم الإحسـاس بـه. ولكـن مـا العمـل! فهـذه هـي طبيعتهـم، والشـوك يبقـى شـوكًا مؤذيًـا وإن كان قـربَ زهـرة جميلة وعطـرة، والغـراب يبقـى غرابًـا وإن حَـط علـى شـجرة في بسـتان بالقـرب من البلابـل، ويبقى صوته صـوت غراب. إنّ عدد الذين يلعنون النـور ليس قليلاً. ولقد رأينا جميعًا الذيـن حاربـوا النظـام والأمـن. وعندما أتذكـر أو أرى من يتقيـأ عنـد شـمّ رائحة الورد يتعكر مزاجي. والخلاصة إن كلًّا يعمل على شاكلته.

تبتهـج الأرواح -التي تعرفت على الإسلام وأنسـت به- بنداء اللانهاية الذي تسمعه وهو صادر من كل شيء

إن لم تنصـت القلـوب للإسلام، فلا يسـتطيع الإسـلام إيصال صوته إليها. وإن لم يتم تمثيل الإسلام بشكل صحيح، خَفَتَ صوته وعجز عن التـأثير في الأرواح. وكلما أسـند الكلام الجيد بالتمثيل الجيد والقدوة الحسنة، استطاع تهييج القلوب، واجتياز جميع العقبات.

حراء

حواليهـا. فمـن يخـط إلـى شـاطئه الآمـن الهـادئ، يتبـوأ الصدارة وإن عُدَّ من الدهماء عند الناس. وهؤلاء الذين يضعـون جباههـم على الأرض سـاجدين مائة مـرة يوميًّا فـي جـو مـن المهابـة والمخافـة، يتبـارون مـع الملائكة الكرام كفرسيْ رهان.

أما التيجان التي لم يستسـلم أصحابها للإسلام فهي تيجـان مؤقتـة زائلـة، وكل بيـان أو كلام لـم يؤخَـذ منـه، ولـم يُسـتنبط منـه، ولـم يَتخذه أساسًـا؛ فهو أسـطورة من الأسـاطير أو خرافة من الخرافات. القلوب التي لم تتغذ بـه ولـم تتشـربه، تبقـى فجـة وفارغـة، وحظوظها سـوداء مظلمـة. وقد تلتمـع أحيانًا وتُبهر بعـض العيون، ولكنها لا تستطيـع اللمعان طويلاً، ولا إضاءة ما حواليها أبدًا.

إن احتواء أي فكر أو نظام لجميـع الأزمنة واحتضانه لها، والبقاء والاستمرار على الدوام دون ضعف أو وهن، ولا بهَت في اللون أو شحوب، مرتبط بمدى قابليته على تجاوز كل الصعاب. والأفكار والكلمات والحِكَم والنُّظم التي لا تستطيـع تجاوز الزمان والمكان، سرعان ما يأتي أوان ضمورها وشحوبها وموتها، وتتساقط تساقط أوراق الخريف، وتنمحي أسماء أصحابها وواضعيها.

الإسلام ثابـت مـن جهـة، ومتغيـر ومتطـور من جهة أخـرى، فهو كشـجرة باسـقة أصلها فـي الأرض وفرعها فـي السـماء، قـد ضربت جذورهـا في الأعمـاق، تعجز أي عاصفة مهما اشتدت عن اقتلاعها، وأغصانها ممتدة للجهـات الأربـع، تعطـي فـي كل فصل أثمارًا جديـدة. أيْ هـو كشـجرة طيبـة تؤتـي أكلهـا كل حين بـإذن ربها. وكلمـا آتـى الإسلام أُكُلَه فتح عهـدًا جديدًا. فيه عصارة اللذات الدنيوية والأخروية.. فيه سـحر الأبدية والخلود، وسـره.. يبقـى ضيـاء الشـمس الـذي تنشـره علـى العالم كذبالة شمعة مرتجفة بجانبه.. تبقى بساتين وحدائق إرم

ذات العماد أمام بساتين وحدائق المعاني التي ينبتها في القلوب كصحراء جرداء.. أما المسافات والعوالم الفسيحة التي يقدمها للعقل وللمنطق وللمشاعر، فلا يسعها الكون الهائل بأكمله.

إن الأفكار النضرة والأنوار التي أهداها الإسلام للفكر الإنساني، سماوية كلها وليست من أي منبع آخر، ولم تَرْضَع من أفكار أخرى، أو تختلط مع أضواء أجنبية، ولم يتكدر صفاؤها بتيارات أخرى، ولم يشعَل فتيلها من مواقد أخرى. بل على العكس، فكل بارقة ضوء، وكل بركة، وكل وجه من وجوه الجمال، وكل طعم ولذة مقدمةٍ من قِبَله، إنما هي ثمرة من ثمار ما وراء السموات لم تمسسها يد أحد. ولو لم تكن هناك خصومة الأعداء، وأفكارهم وأحكامهم المسبقة الظالمة، ولا جهل الأصدقاء وجحودهم، لاجتمعت الإنسانية جمعاء اليوم حول مائدته السماوية، واتحدت وتصافحت.

لقد بقي الأعداء سادرين في عقدة الخصومة له والعداء معه. أما الأصدقاء فقد كدروا أُفقه، لذا حَرَمَنا الإسلام من عطاياه السماوية الثرة، وانكمش على نفسه مثل لؤلؤة داخل صدفتها. إن الشمس تتعاطى ضياءها مع من يتوجه إليها، وتلبس الورود ملابسها المزركشة طوال نظرها للشمس دون أن تطرف عينها، وتبقى الأشجار حية ونشطة ما دامت تديم علاقتها مع الماء ومع التربة والهواء. أيْ إن كل شيء، نعم، كل شيء دون استثناء، يأخذ مكافأته وجائزته بدرجة دوام ارتباطاته، فإن لم تنصت القلوب للإسلام، فلا يستطيع الإسلام إيصال صوته إليها. فإن لم يتم تمثيله بشكل صحيح ولائق، خَفَتَ صوته وعجز عن التأثير في الأرواح. وكلما أسند الكلام الجيد بالتمثيل الجيد والقدوة الحسنة، استطاع تهييج القلوب، واجتياز جميع العقبات. والوصول إلى كل قلب يحمل استعدادًا للخير وتوجهًا له. وما أكثر القلوب التي فتحها، والتي اجتازت جميع العوائق التي وقفت أمامها، وما أكثر حضارات القلوب التي أسسها أصحاب هذه القلوب التي تنبض على الدوام بتوقير الإسلام عند قيامهم وقعودهم، من الذين يعيشون في جو من المحبة والوجد والعشق، ويحيون به!

أما نحن، فالإسلام في نظرنا -حتى مع أرواحنا المتهدمة والخربة هذه- هو أمنيتنا ونور قلوبنا. إن متنا نتمنى أن نموت بين أذرعه وفي حضنه، وإن عشنا نروم العيش في مناخه وتحت ظله. نستمد منه دفء الرغبة في الحياة والشوق إليها وعشقها. ذلك لأن كل شيء سينمحي وسينهدم، وكل شيء سيزول من الذاكرة وسينسى في هذه الحياة الفانية. هو وحده الباقي بقيمه دون شحوب أو زوال، وهو وحده الباقي نضِرًا على الدوام.. أينما رفرف عَلَمُه ساد الهدوء والأمن والسكينة، وحيثما تليت خطبته سادت القيم الإنسانية وضُمن بقاؤها. هو الصورة الأرضية للنظام في السموات، وصورة التلاؤم والتناغم الموجود بين الملائكة على الأرض. الذين ينسجمون مع إيقاعه يكونون في انسجام مع التناغم العام الموجود في الكون، ويتخلصون من أي تضادّ مع الحوادث وحقائق الأشياء أو تضارب معها.

هو نسيج من الذهب الخالص، مُحاك بحيث يستحيل على أي نظام آخر الدنو حتى إلى عتبة بابه، أو الاقتراب من إتقان نقوشه ومن ظرفها. فيه نرى تناغم عوالم السموات وما وراءها، ونسمع فيه نبض قلوبنا، ونستمع إليها. وبالانتساب إليه نجد السر الكامن وراء استيعاب قلوبنا سعة الكون كله.. ندرك هذا فنشعر بالرجفة وهي تسري في أجسامنا. ولا يوجد أي نظام معنوي وروحي، أو أيّ فلسفة أو أيّ تيار، يستطيع أن يَهَبَ العمق والدفء والبهجة للأرواح مثله. فقد وهب الله تعالى له وحده سعادة الروح والبدن، وسعادة المادة والمعنى، وسعادة الدنيا والعقبى.

من لا يستطيع الاستماع إلى صوت الضمير لا يستطيع فهمه. والذين لا ينظرون بعين القلب، لا يستطيعون رؤيته بطابعه الأصيل الحقيقي. وكما قال الغزالي: "لا يستطيع عقل المعاش الدنيوي أن ينقلب إلى عقل المعاد الأخروي"، وحسب قول جلال الدين الرومي: "إن لم يستطع العقل الترابي أن ينقلب إلى عقل سماوي"، فلا مناص من وقوع أقوى منطق إلى وهدة اللامنطق. لقد قاست الإنسانية منذ ظهورها حتى الآن، من صخب النزاع بين العقل والقلب، ولو فشلنا في إقامة جسر بين العقل والقلب، ولقاء بينهما، وتأمين التناغم والتلاؤم بينهما، فإن هذا النزاع والخصام سيستمر. ■

---

(١) نشر هذا المقال في مجلة "سيزنتي" التركية، العدد:٢٤٥ (يونيو ١٩٩٩)، تحت عنوان "İslam'ın Büyüsü". الترجمة عن التركية: أورخان محمد علي.

أ.د. ناصر أحمد سنه*

الروبوتات الحيوية
محاكاة للكائنات الحية

كان أول روبوت سريع الحركة يضاهي حيوان "الشيتا" (أسرع حيوان على سطح الأرض)، قد ابتكرته شركة "بوسطن ديناميك" بالتعاون مع البروفيسور "آلان ويلسون"، خبير الثدييات والأستاذ بالكلية الملكية للطب البيطري بلندن. وقد لاحظ مصممو الروبوت أن الشيتا تمتلك عمودًا فقريًّا قادرًا على الالتواء والانحناء، مما يساعدها على العدو بسرعة كبيرة دون الحاجة إلى أرجل أطول. كما لاحظوا أن أرجلها تلامس الأرض أثناء الجري، مما ينتج قوة دفع مشتركة لأرجلها الأربع، تؤهلها للركض بسرعة هائلة.

وقد صُمم الروبوت بهذا الشكل؛ حيث تم تزويده بعمود فقري مفصلي، وأرجل طويلة، ورأس صغير. وقد سجل روبوت الشيتا رقمًا قياسيًّا ببلوغه سرعة ٢٩ كم/ساعة. كما يجري تطويره ليبلغ ٤٥ كم/ساعة، لتصبح الاستفادة منه كبيرة، خاصة في مهام نقل الإمدادات للصفوف الأمامية للقوات المحاربة، وكذلك حمل الأدوية إلى الأماكن المتضررة من الزلازل. لكن أمام تطويره كثير من الجهد، حيث ما زال يستمد طاقته عبر كابل كهربائي، الأمر الذي دفع إلى إيجاد حلول لطاقة بديلة، وتطوير نظام متقدم للتحكم به عن بُعد.

وصُمم روبوت يستمد طاقته عبر أكله المخلفات والمواد العضوية. تم ابتكاره بمختبر "بريستول" للروبوتات بالتعاون مع جامعة غرب إنجلترا. وهو عبارة عن نموذج كامل لمَعدة بقرة، حيث تقوم البكتيريا بداخله بالتغذي على المواد العضوية، منتجة غاز ثاني أكسيد الكربون، الذي يصحبه انطلاق إلكترونات لازمة

لتدوير عدة دوائر كهربائية لتشغيل الروبوت. وبتوفير الذكاء الكافي للروبوت لقيامه بإطعام نفسه عبر موزع أوتوماتيكي بداخله، سيتمكن من العمل لأسبوع متواصل يؤدي فيها المهام كافة دون تدخل بشري، وسيصبح بمقدوره استكشاف المواد العضوية من حوله والتغذي عليها. ولكن النتيجة الوحيدة التي لا مفر منها، هي أن الروبوت يحتاج إلى تفريغ نفاياته في مكان ما.

وفي "إلهام أحيائي" آخر، ومضاهاة لشكل أقدام الوزغة وديناميكيات أشواك الحشرات ومخالبها، صمم العالم "سبينكو" (Spenko) وزملاؤه روبوتًا متسلقًا سداسي الأقدام، سُمي "RiSE"؛ حيث يُحْكِم هذا الروبوت قبضته على الأسطح المسطحة، وتملك أقدامه الست درجتين من الحرية، إضافةً إلى امتلاكه ذيلاً ثابتًا يضغط على السطح، ويخفف من القوة اللازمة للالتصاق. كما يمتلك أيضًا عددًا من حساسات الحركة، مثل حساس قوة السحب، وحساس قوة الالتصاق.

ولقد أظهر صانعو هذا الروبوت قدرته على تسلق العديد من الأسطح العمودية والأفقية، مثل تسلق الأشجار والجدران الإسمنتية. وقد صُمم وفق خصائص الحيوانات المتسلقة، مثل جسد طويل مفلطح يُبقي الجسم قريبًا من السطح، ويخفف قوة السحب الداخلية المبذولة من الأطراف الأمامية. وتسحب الأطراف الأمامية للداخل، بينما تدفع الأطراف الخلفية للخارج. وتعمل القوى الجانبية نحو الداخل باتجاه المحور المركزي للجسم. وتوافق الأقدام -التي تحتوي على كاحل وأصابع- لتوزيع قوى الاتصال.

كما أن هناك روبوتات باستطاعتها تسلق الجدران كالبرص، إلا أنها لا تشبهه على الإطلاق؛ حيث ابتكر باحثون بجامعة "سيمون فريزر" الكندية روبوتًا صغيرًا يحمل خزانًا صغيرًا، قادرًا على تسلق الجدران العمودية. وتم تزويد الروبوت بشعيرات صناعية دقيقة كالتي في قدم البرص، والتي تمكنه من تسلق الحوائط الملساء عبر قوى الجذب المعروفة بـ"فان دير فالس". وهي قوى التأثيرات المتبادلة بين الإلكترونات داخل جزيئات تلك الشعيرات الدقيقة، وبين نواة ذرات المادة المكونة منها أسطح الحوائط. وما زالت تلك القوة غير كافية لحمل جسم كبير بحجم الروبوت، لذا تم تصنيع تلك الجزيئات بكمية كبيرة، بالإضافة إلى تزويده بعمود فقري مفصلي يسمح بانتقاله بين الزوايا والأسقف والحوائط غير الممهدة.

"بلو روبوت" و"السمندل"

في إطار ابتكارات سابقة لمختلف أنواع "الروبوتات الحيوية"، ابتكر باحثون -بقيادة الباحث "أوكي ليسبيرت"- بمختبر تابع للمعهد الاتحادي السويسري في "لوزان"، روبوت "بلوروبوت". وهو يحاكي الحيوان البرمائي "السمندل" في كثير من حركاته وسكناته، وقدرته على الغوص تحت سطح الماء.

كما سيساعد علماء الأعصاب على فهم الطريقة التي يستخدمها الجهاز العصبي والحبل الشوكي، لتحقيق فكرة التوافق الحركي (العصبي- العضلي) لدى جميع الأسلاف البرية للفقاريات، بما فيهم الإنسان، مما قد يساعد في تطوير علاجات لتنشيط النخاع الشوكي لمرضى الشلل.

وحتى يتسنى للباحثين صنع "بلو روبوت"، استعانوا بتقنيات متطورة في فنون التصوير السينمائي بالأشعة، لرسم التصميم البيولوجي الدقيق للسمندل الحقيقي. تم بحث ٦٤ نقطة لهيكله العظمي للتعرف على التناسق بين المفاصل النشطة وبين المفاصل الخاملة. كما تم استخدام الأشعة السينية الثلاثية الأبعاد، لتسجيل حركات الكائن أثناء سيره على الأرض وغوصه تحت الماء.

وتم بالفعل عرض نموذج "بلوروبوت" في المهرجان السنوي الخامس للعلوم في "سان فرانسيسكو"، كواحد من أدق الحيوانات الروبوتية التي ابتكرت حتى الآن.

سلاحف وأسماك لاستكشاف آثار تحت الماء

في إطار مشروع بحث أوروبي (في رومو/إستونيا)، تم اختيار روبوت جديد (U-CAT) لمساعدة علماء الآثار على العمل في مواقع تحت الماء يصعب وصول البشر إليها، وذلك بغية جمْع معلومات مكانية وتصوير بالموجات فوق الصوتية (سونار) وأخذ فيديو لكنوز مغمورة.

ويتم دمج بيانات السونار والفيديو في خرائط ثلاثية الأبعاد، مما يساعد على اكتشاف أعماق البحار وحفظ كنوزها المطمورة. حيث على الروبوت -الذي يحاكي السلاحف أو الأسماك- النفاذ خلال مساحات صغيرة جدًّا، والدوران حول جميع المحاور والعودة بكفاءة. ويعمل بدون جهاز تحكم عن بُعد لأنه يتبع برنامجًا مستقلًّا، وتُجنّبه أجهزة الاستشعار التصادم مع الجدران أو غيرها تحت الماء. وبدلاً من المراوح، يمتلك هذا الروبوت أربع زعانف تمكّنه من المناورة بشكل جيد داخل الأثر البحري.

كما تساعد الزعانف على رفع كمية أقل من الرواسب من قاع السفن الغارقة؛ لأن تشغيل المروحة بالقرب من حطام سفينة، يؤدي إلى رفع طين القاع، ويمنع إمكانية رؤية أي شيء. ولعل فقدان روبوت داخل حطام سفينة، أقل فداحة من فقدان غطاس بشري، فاختراق حطام السفن أمر خطير جدًّا.

روبوت جناح ذبابة الفاكهة

أنشأ الباحث "ديكنسون" وزملاؤه نموذجًا حيويًّا استطاع تفسير ديناميكية طيران الحشرات. وهو روبوت له أجنحة (بطول ٦٠ سم) يضاهي جناح ذبابة الفاكهة. ثم غُمر هذا النموذج في الزيت المعدني، وأضيفت مستشعرات للحركة على أطراف الأجنحة، وإضاءة كاملة للخزان، لمعرفة طريقة تحرك فقاعات الهواء المغمورة بالزيت حول أجنحة النموذج.

هذا وقد اكتُشفت ثلاث قوى رئيسة تحكم طيران الحشرات.

روبوتات تحاكي البشر

صُمم هيكل أول هذه الروبوتات "أكسيو روبوت" ليشابه مثيله عند الإنسان. وتميز بوجود جذع وذراعين مدعومين

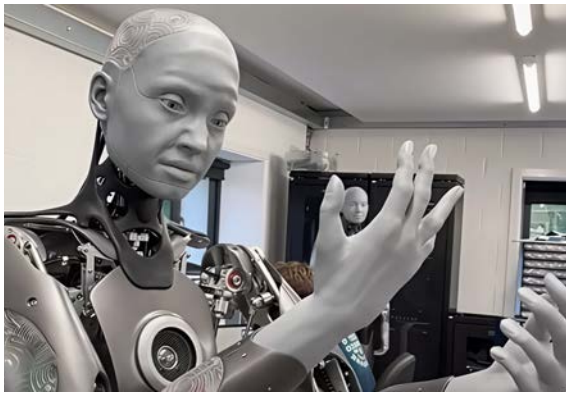

بالعضلات والعظام المتصلة بالأوتار، بالإضافة إلى قابليته العالية للتعلم، حيث يتم ربط الروبوت بقاعدة معلوماتية لاستقبال الإشارات من أجزاء جسمه، خاصة من الكاميرا المزودة بها العين، ثم يتم ترجمة الأشياء التي يراها أو يمسكها، لتتكون لديه القدرة على الفهم والإدراك واتخاذ التدابير اللازمة للتعامل مع المعطيات الخارجية، والقيام بردود الأفعال المناسبة في المواقف المختلفة، مثل تعلمه كيف يشرب كوبًا من الشاي وكيف يمسك بكرة. وبالتالي يمكنه تحريك عظامه كما يحرك الإنسان أطرافه (قبض وبسط المفاصل واسترخاء العضلات)، وذلك بواسطة أنسجة رخوة تفصل ما بين العظام وتتصل بأسلاك كهربائية تعمل محل الأوتار، موصولة بمحرك كهربائي. ويقوم "أكسيو روبوت" من خلال حركة أي جزء فيه، بتوزيع مردود الحركة على باقي أجزائه، لإعطاء رد الفعل الطبيعي تجاهها، مما يمكّن من الاستفادة منه كبديل عن العمال، خاصة في الأعمال الخطرة.

وفي قسم "الهندسة الحيوية" في جامعة "إلينوي"، تم تطوير عمود فقري ثلاثي الأبعاد من الهيدروجيل القوي، ليدعم الأجزاء الميكانيكية للروبوت شبيه البشر، بحيث يستطيع التحرك بمرونة فائقة. ويقول الباحثون إن سلسلتين من هذه العضلات تثبتان العمود الفقري على غرار ما تفعله عضلات الأوتار، إضافة إلى أنها تعمل كالقدم بالنسبة للروبوت البيولوجي. ويمكن التحكم بسرعة الروبوت عبر إدارة ترددات النبضات الإلكترونية. فالتحريك البيولوجي المدعوم بالخلايا هو عمل أساس لأي آلة ميكانيكية بيولوجية. ويُعتبر فريق الباحثين في جامعة "إلينوي" رائدًا في صناعة الروبوتات

hiragate.com

الحيوية التي يقل حجمها عن سنتيمتر واحد، والمكونة من مادة هيدروجيل ثلاثية الأبعاد، وخلايا حية.

وصمم الفريق -في وقت سابق- روبوتات بيولوجية يمكنها السير بمفردها بوساطة خلايا قلب نابضة أُتي بها من الفئران، لكن خلايا القلب النابضة تتفاعل باستمرار وتنبض داعمة حركة الروبوت البيولوجي، بحيث يصعب التحكم في إيقاف حركته. ومن الصعب -بطبيعة الحال- توقيف الخلايا الحية عن عملها أو إبطاؤها وتسريعها، لأن الخلايا الحية مشمولة بنظام عمل تلقائي.

بيوتاك (اليد البشرية):

كان علماء يابانيون قد ابتكروا جلدًا بشريًّا حيًّا يساعد في إنشاء روبوتات بيولوجية هجينة، مصنوعة من مواد حية واصطناعية. وكان الجلد الاصطناعي المطوَّر للروبوتات الحالية مصنوعًا من السيليكون، ليحاكي مظهر الإنسان. ثم تم تصميم يد اصطناعية تتميز بخاصية اللمس كالإنسان، وتتعرف على المواد المختلفة بنسبة ٩٥٪، ومُزودة بمستشعرات للإحساس بالبرودة والحرارة. وتتكون من أصابع وجلد مزود بمستشعرات، طُورت بوساطة البروفيسور "جيرالد لويب" من جامعة جنوب "كاليفورنيا" وبمساعدة زميله الدكتور "جيرمي فيشل". وتم تصميم الجلد المرن للأصابع ليكون بمعزل عن العظام البلاستيكية، بوساطة سائل رخو كالسائل السينوفي الموجود في مفاصلنا، حيث يقوم بنقل الإشارة من الأجزاء الحساسة في الأصابع إلى مراكز الحس، والمتمثلة في قاعدة بيانات ضخمة توضح للروبوت ماهية الشيء الذي يمسكه. لكن الإحساس الوحيد الذي لا يمكن أن تشعر به هذه اليد، هو الشعور بالألم، لكنها توظف بكفاءة وفاعلية كأطراف اصطناعية لمن فقد يديه. كما ظهرت طفرة في مجال الروبوتات الحيوية، خصوصًا مع ظهور أعضاء روبوتية حيوية أخرى، مثل الأحبال الصوتية، وفك الأسنان، وقرنية العين، والوجوه التعبيرية.

روبوتات الإنقاذ والسيارات ذاتية القيادة:

يتوجه الباحثون في علم الروبوتات إلى تصميم روبوتات ذكية، منها المرتبط عضويًّا بالإنسان (الأكسوسكليت)، ومنها الذي يأخذ شكل طفل لخدمة البشر ذوي الحركة المنخفضة (المسنّين أو ذوي الاحتياجات الخاصة)، أو أي إنسان عادي "عالق" وقع في مأزق ولم يجد حلًّا آنيًّا لمشكلته.

ولتسهيل الأمور في أماكن تجمع الناس (كمحطات القطار والمطارات والمشافي وغيرها)، تقوم شركة "تالس" (Thales) بمشروع تصميم روبوت حساس يتعرف على البشر الذين يبدو عليهم الاضطراب والتوتر والقلق، فيتقدم الروبوت إليهم ويحاورهم ثم يعطيهم المعلومات لحل مشكلتهم. هذا الروبوت الذكي يرتبط لاسلكيًّا بكاميرات ديناميكية معلقة في سقف المكان، أو في قمر اصطناعي لاكتشاف الشخص المضطرب. وذلك بواسطة برنامج خوارزمي مبني على نظام الشبكة العصبية (النيورونية). وهذا البرنامج يدرس ويحلل ملامح الوجه (المضطرب) وحركات الجسم (المتوترة)، ويقرر المساعدة، فيتقدم لحل المشكلة. أما في المستشفيات، فيحل الروبوت بشكل بديهي مكان الممرضة في كل عمل متكرر مع المريض.

وفي مؤسسة "فيديكوم" (Vedecom) التابعة لجامعة باريس-ساكلي، والمصنعة لسيارات خالية من أكسيد الكربون، تم إجراء دراسة (دكتوراه قدمتها الطالبة فلافي بونفيوت) لفهم العلاقة بين سيارة كهربائية ذكية تسير دون سائق، والمشاة الذين يواجهونها عند عبور الشارع. فلأسباب سيكولوجية، يضطرب المشاة حين يقابلون هذا النوع من السيارات (ذاتية القيادة)، ويفضلون عدم التعرض لها والابتعاد عنها. فتم تطوير برمجة خوارزمية في عقل السيارة الذكية، لتتعامل بلطف مع المارة ولإدخال الثقة والاطمئنان في نفوسهم حين يقتربون من هذه الآلة الروبوتية الحديدية المتحركة.

وختامًا: المخلوقات الحية مصدر إلهام لتصميم وسلوك وتصرفات ووظائف وآليات عمل الروبوتات. وهناك درجات مختلفة لمحاكاة التصاميم، تتراوح من التشابه العام حتى المحاكاة الكاملة في التصرفات. لذا يتمتع هذا الجيل الجديد من الروبوتات، بالسرعة والرشاقة والبراعة في التصرفات والسلوكيات، وأصبح أكثر استعدادًا للتكيف والاحتكاك الأفضل مع البشر. ■

(*) كاتب وأكاديمي مصري.

hiragate.com

أ.د. يحيى وزيري*

مدن بلا سماء

اغتراب الإنسان في المدينة الحديثة

تخيل ليلة صافية، حيث تتلألأ النجوم كأحجار كريمة في قبة سماوية مظلمة.. تخيل الشعور بالرهبة والإعجاب وأنت تنظر إلى هذا المنظر البديع.. ولكن ماذا لو اختفت هذه السماء الساحرة، واستبدلت بها سماء ملوثة بالضوء ليلاً وبسحب الدخان نهارًا؟ هذا هو الواقع الذي نعيشه في العديد من المدن اليوم، حيث تختفي روعة الكون خلف أضواء وملوثات المدن الصناعية، فقدان السماء ليس مجرد فقدان لمشهد جميل، بل هو فقدان لجزء من هويتنا الإنسانية، ولصِلتنا بالطبيعة وبالكون الفسيح الذي نعيش فيه. تعتبر السماء جزءًا لا يتجزأ من حياة الإنسان، فهي مصدر الإلهام

والتعجب، ورمز للامتناهي والجمال.. ومع تزايد التمدن ونمو المدن، بدأت السماء تختفي تدريجيًّا خلف سحب التلوث الضوئي وأبراج المباني الشاهقة، هذا التغييرُ الجذري في بيئتنا الحضرية، له آثار عميقة على الإنسان وعلى المدن نفسها، سواء على المستوى المادي أو الروحي.

السماء في الرؤية القرآنية

إن من عظمة الإسلام أن جعل السماء هي قبلة الدعاء، كما حث المولى ﷻ على النظر إلى السماء (والأرض) من أجل التدبر، حيث يقول: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(يونس:١٠١)، أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، الذين يسألونك الآياتِ على صحّة ما تدعوهم إليه من توحيد الله وخلع الأنداد والأوثان: انظروا أيها القوم ماذا في السمواتِ من الآيات الدّالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله ﷻ، من شمسها وقمرها، واختلافِ ليلها ونهارِها، ونزول الغيث بأرزاق العبادِ من سحابها؟ وهذا ما أورده الإمام القرطبي في تفسير الآية الكريمة.

بل إن المولى ﷻ عَدّ التفكر في خلق السموات والأرض من صفات أولي الألباب، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾(آل عمران:١٩٠).

من تلك التوجيهات القرآنية -وهي كثيرة في القرآن الكريم- يتضح لنا أن أهمية السماء لمدن المجتمعات الإسلامية، ليس فقط من النواحي البيئية والصحية والجمالية، ولكن أيضًا من جوانب التفكر والتدبر من أجل زيادة الإيمان والوصول إلى مرحلة اليقين، أي الإيمان الثابت الراسخ الذي لا يتزعزع، لذلك يقول المولى ﷻ منبهًا إلى ذلك: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾(الأنعام:٧٥)، وأنّى يتحقق لنا ذلك في مدن بلا سماء مرئية، سواء أكان هذا الحجب لها كليًّا أم جزئيًّا؟

السماء في الأدب والشعر

لعبت السماء دورًا محوريًّا في روايات الأدباء وقصائد الشعراء، فإن الروائي العالمي "تولستوي" -على سبيل المثال- في عمله الملحمي (الحرب والسلام)، كتب مشهدين عن السماء، كل مشهد منهما له ظروفه الخاصة وطبيعته، المشهد الأول كان في حالة حرب من خلال شخصية الأمير "آندرية بولكونسكي"، والثاني في حالة سلام من خلال شخصية الكونت "بيير بيزوخوف".. ومن الغريب أن ينهي "تولستوي" الجزء الأول من كتابه في ذروة الحرب بمشهد السماء، وفي نفس الوقت ينهي الجزء الثاني في زمن السلام بمشهد السماء كذلك.

كثير من الشعراء أيضًا، قد ربطوا في شعرهم وأبيات قصائدهم، بين السماء والحب وبين السماء والكرم، ومن جميل ما قاله الهادي آدم في رائعته أغدًا ألقاك عن السماء: "هذه الدنيا سماء أنت فيها القمر"، ويقول التيجاني يوسف بشير:

"أنتِ السماءُ بدت لنا *** واستعصمت بالبعدِ عنّا".

كما كانت السماء بنجومها وكواكبها ملهمة للشعراء أيضًا قديمًا، فالشاعر الجاهلي النجدي بشر بن أبي حازم يقول:

أراقب في السماء بنات نعش

وقد دارت كما عطف السوارُ

hiragate.com

آثار حجب السماء

فقدان السماء -هذه القبة الزرقاء التي لطالما ألهمت البشرية- يترك أثرًا عميقًا على الإنسان، فحجْب النجوم والكواكب والشمس والقمر، يحرم الإنسان من تجربة حسية غنية، ويقلل من شعوره بالاتصال بالكون الواسع. فالنظر إلى السماء يرتبط بالهدوء والاسترخاء والتأمل، مما يساعد على تخفيف التوتر وتحسين المزاج.. لذا فإن فقدان هذا المنظر الهادئ، يؤثر سلبًا على الصحة النفسية للإنسان، وقد يساهم في زيادة معدلات الإصابة بالأرق واضطرابات النوم.

حجْب جزء من السماء نهارًا يعني قلة الإضاءة الطبيعية، مما يؤثر سلبًا على الصحة الجسدية والنفسية للإنسان، كما يجعل المباني تعتمد بصورة أساسية على الإضاءة الصناعية، وذلك له تأثيرات -أيضًا- اقتصادية على المدى الطويل، نتيجة زيادة استهلاك الكهرباء والطاقة.

علاوة على ذلك، فإن السماء تحمل أهمية رمزية عميقة في العديد من الثقافات والأديان، وارتباطها بالقداسة واللامتناهي يجعلها عنصرًا أساسيًّا في الحياة الروحية للفرد.

لا يقتصر تأثير فقدان السماء على الفرد، بل يتعداه ليصل إلى المجتمع ككل، فالتلوث الضوئي الناتج عن الإضاءة الزائدة، يؤثر سلبًا على الحياة البرية، خاصة الطيور والحيوانات الليلية التي تعتمد على الظلام للصيد والتكاثر.. كما أن فقدان جمال السماء يؤثر سلبًا على قطاع السياحة، حيث تعتبر السماء النقية عاملَ جذب مهم للسياح، وعلى المستوى الاجتماعي يعتبر النظر إلى السماء تجربة مشتركة تجمع الناس وتقوي الروابط الاجتماعية.. لذلك فإن فقدان هذا المشهد المشترك، يؤدي إلى فقدان الشعور بالانتماء للمجتمع المحلي أو الإنساني بصفة عامة.

السماء في المدن القديمة والحديثة

في المدن القديمة، كانت السماء جزءًا لا يتجزأ من حياة الإنسان اليومية؛ كانت السماء هي السقف الذي يغطي الجميع، وكانت مرتبطة بالزراعة والأرصاد الجوية

فقدان السماء يترك أثرًا عميقًا على الإنسان، فحجب النجوم والكواكب والشمس والقمر، يحرم الإنسان من تجربة حسية غنية، ويقلل من شعوره بالاتصال بالكون الواسع.

والطقوس الدينية، وكانت المباني القديمة مصممة بحيث تسمح بمشاهدة السماء من خلال تصميمها حول أفنية داخلية مكشوفة، وكان الفناء الداخلي مصدرًا للضوء الطبيعي والهواء النقي، إلى جانب توفير الخصوصية ومكان لاجتماع العائلة الواحدة.

وكانت دراسة السماء من أهم العلوم في الحضارات القديمة، وكان الفلكيون يراقبون النجوم والكواكب لتحديد الأوقات المناسبة للزراعة والحصاد، ومعرفة المواقيت والمواسم وتحديد الزمن بصفة عامة.

في المدن الحديثة، تغيرت العلاقة بين الإنسان والسماء بشكل كبير؛ مع نمو المدن وتزايد المباني والأبراج شاهقة الارتفاع، أصبح من الصعب رؤية السماء بوضوح، مما أدى إلى فصل الإنسان عن الطبيعة، كما أصبح للتلوث -بشقَّيه الهوائي والضوئي- تأثيراتٌ كبيرة ومدمرة على بيئة تلك المدن.

ومع تطور التكنولوجيا، أصبح الإنسان يقضي وقتًا أطول داخل المباني، بعيدًا عن الطبيعة والسماء. وتغيرت مفاهيم الإنسان عن السماء، وأصبحت أقل ارتباطًا بالدين والروحانية. وربما يؤدي فقدان الاتصال بالطبيعة والسماء، إلى مشاكل نفسية مثل الاكتئاب والقلق.

لذلك فإن الإنسان الذي يقضي حكمًا بالسجن -بغض النظر عن جريمته- يكون له الحق في مدة زمنية محددة للتريض يوميًّا في إحدى ساحات السجن المكشوفة، لأهمية ذلك على صحته الجسدية والنفسية وربما العقلية أيضًا.

استعادة السماء في العمران المعاصر

إن أهمية التواصل البصري مع السماء كبيرة، ولها تأثيرات على الإنسان مهمة جدًّا، لذلك اتجه بعض المصممين عند تهيئة بعض الفراغات الموجودة تحت

hiragate.com

الأرض، أو في بعض الغرف التي يقضي فيها الإنسان أوقاتًا طويلة كمرضى العناية المركزة بالمستشفيات، إلى استخدام تقنيات إضاءة حديثة بالسقف تشابه شكل السماء وضوء النهار، كنوع من الخداع البصري، لتحقيق غاية التواصل البصري مع السماء أو ما يشبهها.

من هنا تظهر أهمية أن يأخذ التخطيط العمراني للمدن في الاعتبار أهمية الحفاظ على السماء، من خلال تقييد ارتفاع المباني وتقليل التلوث الضوئي، والحد من ظاهرة الضبخان التي تكون سببًا مباشرًا لتلوث الهواء الذي يصل إلى حد الاختناق، بخاصة عند الأطفال وكبار السن، وكذلك حجب السماء نتيجة السحب الدخانية.

وإذا كانت توعية المجتمعات الإنسانية بأهمية الحفاظ على بيئة الأرض قد أصبح توجهًا عالميًا، فلا بد أن تأخذ السماء نصيبها الوافر والمستحق من هذه الأهمية، مع تشجيع الأنشطة الخارجية، وتشجيع الناس على الخروج إلى الطبيعة ومشاهدة السماء، ويساعد على ذلك مراعاةُ توفير الأماكن والساحات والفراغات والحدائق العامة التي تشجع على ذلك وتجعله متاحًا للجميع.

من جانب آخر، يجب إعادة صياغة قوانين البناء بحيث تشجع على وجود الأفنية الداخلية، في المباني الحديثة بمختلف وظائفها، وهذا سيساهم في إعادة العلاقة البصرية والمعنوية بين الإنسان والسماء طوال فترة تواجده بالمبنى، ولا تصبح أسقف وجدران المبنى هو ما يراه الإنسان باستمرار طوال الليل والنهار.

إن العودة إلى الاستفادة من أسطح المباني بإيجاد حدائق سطح وبرجولات خشبية، تحول هذه الأسطح من مساحات مهملة غير مستفاد منها، إلى أماكن جاذبة للتجمعات واللقاءات بخاصة في المباني السكنية، ومن جانب آخر توفر إطلالات مفتوحة على السماء بمختلف أوقات اليوم، وربما تكون مكانًا مناسبًا لوجود بعض التليسكوبات البسيطة لهواة علم الفلك، لمراقبة النجوم والكواكب بالليل.

خاتمة: مدن حديثة دون سماء

إن العلاقة بين الإنسان والسماء هي علاقة قديمة قدم التاريخ بل ووجود الإنسان نفسه على الأرض، ومع تطور الحضارات، تغيرت هذه العلاقة بشكل كبير. وإن فقدان السماء في المدن الحديثة له آثار سلبية على الإنسان والبيئة، مما يستوجب علينا جميعًا العمل على استعادة صلتنا بالسماء وحماية بيئتنا.

ولا أجد في ختام المقال أفضل من تلك الآيات الكريمات التي وردت في سورة الملك، كي أدلل على أهمية وعظم السماء في الرؤية والمفهوم الإسلامي، وعلاقة ذلك بالإنسان باني الحضارات قديمًا وحديثا، حيث يقول الله ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾(الملك:٣-٥). ■

(*) أستاذ ورئيس قسم العمارة بمعهد الطيران / مصر.

hiragate.com

سعيد بو عيطة*

التربية على التسامح وبناء المجتمع المدني

يعد موضوع التربية على التسامح من المواضيع ذات الأهمية الكبرى نظرًا لراهنيته وضرورته، لكنه موضوع صعب. يشير "إيمانويل كانط" إلى اكتشافين إنسانيين يحق للمرء أن يعدهما أصعب الأمور، وهما فن حكم الناس، وفن تربيتهم.

ذلك أن التربية ليست مطابقة للتعليم، فإذا كان مجال هذا الأخير يكتفي بنقل المعلومات والإمداد بالقدرات والمهارات، فإن التربية تهتم بتهذيب السلوك، وكذا تقويم التصرفات وتحسين الأخلاق. لهذا، فالتربية هي جوهر التعليم، وكلما حصل فك الارتباط بينهما، آل الأمر إلى نوع من الاختلال.

وإذا كان الإنسان كائنًا أخلاقيًّا بامتياز، فإن كل تعليم يستبعد التربية، ولا يعتني بالمواصفات التي سيكون عليها سمت وسلوك المتعلمين، إنما يخل بذلك الشرط الجوهري الذي يكمن في الدور القيمي والأخلاقي للتربية.

إن التربية ليست مجرد مواد تدرس أو مضامين تلقن، إنما هي مسار إنساني

متكامل تلعب فيه شخصية المعلم القدوة دورًا أساسيًّا. فقد يكون أمرًا يسيرًا أن تدرس الرياضيات أو علم الأحياء، لكن الصعوبة تظهر عندما نحاول أن ننشئ الأجيال على سلوكيات إيجابية متسامحة.

وإن تطور حياة الإنسان عامة، يجعل مفهوم التسامح لا ينحصر في معنى التكرم الذي يُفهم من فعل "سمح"، كما لا يبقى مقيدًا بوقائع وأحداث تميزت بها حقبة تاريخية معينة، في منطقة جغرافية محددة، بقدر ما يشمل المضامين التي لا يمكن القول بأنها جديدة، بقدر ما برزت أكثر واتسع تداولها في العصر الحاضر، والتي تتمثل في ضرورة الاحترام المتبادل والمتكافئ بين الأفراد والجماعات لحقّ كل فرد وكل جماعة في الاختلاف في الآراء والأفكار في مختلف المجالات العقائدية والفلسفية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ..إلخ، وضمان حرية التعبير عن هذا الحق من طرف الجميع ولمصلحة الجميع.

التسامح وبناء المجتمع المدني

التسامح صيغة تفاعل، تقتضي طرفين أو عدة أطراف تقوم جميعها بالفعل نفسه، وفي الوقت نفسه. فإذا اقتصر على المفرد، حمل معنيين متضادين، أحدهما هو التسامح الفعلي، والثاني هو التظاهر به وادعاؤه. هذه الدلالات اللغوية جزء من نسيج المصطلح الذي راج في العقدين الماضيين أو العقود الثلاثة الماضية، وأثار جدالات لم تنته بعد، وغدا مرادفًا للاعتراف المتبادل ومشروطًا به.

التسامح من باب الاعتراف المتبادل والتقبل المتبادل، شرط أولي للسلم الاجتماعي والاستقرار السياسي. فلا أحد يقبل أن يكون غير معترف بأهليته وجدارته واستحقاقه الحقوق التي يتمتع بها مواطنوه، ولا أحد يطيق أن يكون غير مقبول من الآخرين، لكن الاعتراف شيء، وتقبل الآخر المختلف -على ما هو عليه وما يمكن أن يكونه- شيء آخر. إذ يمكن أن نعترف بأن للآخر مثل ما لنا من كرامة إنسانية وجدارة واستحقاق، ولكننا نميل -مع ذلك- إلى تجنبه وعدم الرغبة في مشاركته، لأسباب عرقية أو دينية أو مذهبية أو حزبية أو طبقية.

بمعنى أن الاعتراف موقف موضوعي صادر عن أحكام عقلية، أو أحكام واقع، مؤداها الاعتراف بموضوعية الواقع. أما التقبل، فهو موقف ذاتي صادر عن أحكام قيمة سريعة التغير وفقًا لأحوال النفس البشرية وانفعالاتها، وغالبًا ما تصدر عن رؤى ذاتية وأوهام مترسبة في اللاوعي الفردي والجمعي، مؤداها أن اختلاف الآخر يجعله منافسًا أو خصمًا أو عدوًّا، أقل أهلية وجدارة واستحقاقًا. وهذا ما يفسر كثافة العلاقات المتبادلة، القائمة على الاعتراف المتبادل والتقبل المتبادل، بين من تجمعهم عصبة واحدة أو عصبية واحدة، وشحّها أو ندرتها خارج هذين الإطارين.

لكن الاعتراف والتقبل هنا مشروطان بالتزام "مصالح" العصبة أو العصبية وأيديولوجيتها أو تحديداتها الذاتية، وأعرافها وعاداتها وتقاليدها، والاتصاف بالصفات التي تنسبها كل جماعة إلى نفسها، وتنزعها عن الآخرين.

إن تقبل الآخر المختلف على ما هو عليه وما يمكن أن يكونه، قرينة على تقبل الذات وتقبل العالم شرطًا للتأثير فيه والعمل على تحسينه باطراد، فالاغتراب عن العالم هو في الوقت ذاته اغتراب عن الذات.

الإنسان مرآة الإنسان، والآخر هو شرط تشكل الذات وانفتاحها على المحبة والتعاون والتعارف والتشارك الحر في الحياة النوعية، الوطنية والإنسانية، بل الإنسانية أبدى وأولى بالتقديم. قد نتقبل الآخر على ما هو عليه، من باب الاعتراف بأنويته، أي بمحض وجوده الكياني وكونه (أنا)، لكن من الصعوبة بمكان أن نتقبله على نحو ما يريد أن يكون.

بمعنى أنه من الصعوبة بمكان أن نتقبل ذاتيته (حريته واستقلاله الذاتي)، لأننا نميل دومًا إلى أن يكون الآخر مثلنا، موافقًا لنا ومتفقًا معنا، حتى في الذوق، ناهيك عن الأفكار والتصورات والمعتقدات. أجل، الـ"أنا" هو ما نحن عليه، وما يكون الآخر عليه بوصفه "أنا"، لكن هذه الذات هي ما يمكن أن نكون. إن الصداقات والتوافقات والتحالفات وأشكال التعاون المختلفة، الفردية منها

hiragate.com

والجمعية، هي -على الأغلب- علاقات بين أنوات، لا بين ذوات حرة ومستقلة.

مما يعني أن التسامح الحق مشروط بالحرية والاستقلال شرطًا لازمًا، حرية الفرد الذاتية واستقلاله الذاتي بالمعنى "الكانطي" للاستقلال الذاتي وحرية الإرادة، وكذا حرية الجماعة واستقلالها الذاتي بالمعنى نفسه، أي تمكن الفرد من "التشريع لنفسه"، وتمكن الجماعة والمؤسسة أو المنظمة من التشريع لنفسها، على النحو الذي يقبل به جميع أفرادها ويحترمونه بالتساوي، أو يتوقع كل منهم أن الآخرين يحترمونه، ومن ثم تمكن المجتمع الكلي من التشريع لنفسه.

بهذا، يمكن أن يكون كل فرد مشروعَ تحقق كياني وشخصية قانونية وأخلاقية وفاعلة اجتماعيًّا أو فاعلاً اجتماعيًّا، وكذلك كل جماعة وكل شعب وكل أمة. لا قيمة للمساواة، ولا معنى لحقوق الإنسان، من دون الحرية الفردية والاستقلال الذاتي، ولا معنى للحقوق المدنية والسياسية إذا لم يكن جميع مواطني الدولة قادرين على ممارستها والتمتع بها.

لهذا، فإن الاعتراف المتبادل وتقبل الآخر، هما ركنا التسامح، ولا يكون من دونهما معًا. بهذين الركنين من أركان التسامح، تنفتح إمكانية "الصداقة المدنية" بمعنى إمكانية المواطنة المتساوية، على قاعدة الحرية الذاتية والاستقلال الذاتي للأفراد والمؤسسات، سواء مؤسسات المجتمع الأهلي الحامل جنينَ المجتمع المدني، أم مؤسسات المجتمع المدني الحديثة.

وهذه الأخيرة -ولا سيما الأحزاب السياسية منها- لا تستحق اسمها ما لم تقطع الحبل السري الذي لا يزال يصلها بالمجتمع التقليدي، حتى لَتبدو كأنها عصبية من عصبياته أو بنية موازية لبناه الاجتماعية والذهنية والثقافية بالمعنى الواسع للثقافة، باعتبارها ممارسة اجتماعية.

ودفعًا لأي التباس، يجب الإشارة إلى أن التسامح لا يعني المسامحة أو التغاضي عن الحقوق المادية والمعنوية، أو التنازل عنها.. لكنه لا يشترط تكافؤ الطرفين أو الأطراف المختلفة، في الأهلية والمكانة

إن العالم في حاجة إلى مقاربة ترتكز على الوعي بأن الدين بمثابة الطاقة، يجلب الازدهار والاستقرار، وأنه في الأصل طاقة سلام ومحبة ووئام.

أو المنزلة، ما يعني أن التكافؤ في الأهلية شرط أوليّ للتسامح، وإلا غدا التسامح نوعًا من التخلي عن حقوق، أو التغاضي عن التزامات أو واجبات، مما يحيل على العدالة بوجه عام، والعدالة الانتقالية حيثما غدت واجبة، بوجه خاص.

فهل التسامح ممكن اليوم في ظل الأيديولوجيات وغطرسة حامليها؟ ثمة من يصف دولاً بأنها علمانية وحداثية افتراءً على الحداثة وكذا العلمانية، حيث لا يمكن إقناع الإسلاميين بفصل الدين عن الدولة والمدرسة -مثلاً- ولا يجوز إجبارهم على ذلك بأي شكل من أشكال القسر والإرغام، وأي وسيلة من وسائله، فما العمل؟

إذا كان إقناع هؤلاء بذلك أقرب إلى المستحيل، وإجبارهم عليه غير جائز بأي وجه من الوجوه وأي معيار من المعايير الإنسانية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية، فلا بد من الاعتراف بحقهم في أن يعتقدوا بما يعدونه عقيدتهم القويمة، والاعتراف -قبل ذلك وبعده- بحقوقهم المدنية والسياسية كاملة غير منقوصة أسوة بغيرهم، وممارسة طقوسهم وشعائرهم بحرية تامة، وحقهم في التعبير بجميع الوسائل المتاحة لغيرهم، كالصحف والمجلات والكتب ومحطات الإذاعة والقنوات الفضائية والاجتماعات العامة.

في هذه الحال فقط، يمكن أن ينزاح كل نقاش من مجال العقيدة إلى مجال السياسة والاجتماع المدني والتنافس الديمقراطي، فتتخلص السياسة من الحمية الأيديولوجية والصخب الدوغمائي، وتنصرف إلى تدبير الشؤون العامة، من دون أن ننفي أن ما يوجه سياسة هذا الاتجاه أو ذاك هو ميزان القوى.

إذا كان الأمر كذلك، فلا سبيل إلى التسامح والسلام

hiragate.com

الاجتماعي إلا بتدخل المجتمع المدني باعتباره عنصرًا وازنًا، وحاسمًا في ميزان القوى، بحكم طبيعته الديمقراطية وميل مؤسساته إلى الاعتدال وابتغاء الخير العام، وبنائها على مبادئ الاعتراف المتبادل والتقبل المتبادل والاحترام المتبادل، وقيم التعاون والتشارك الحر والعمل التطوعي.

وسطية الإسلام والتسامح

تعد الوسطية في العقيدة الإسلامية بمثابة الميزان الشرعي الذي لا إفراط فيه ولا تفريط. إنها ميزان الشرع في نبذ المبالغة والمغالاة، والنظر في العواقب والمآلات. لأن الدين واسطة بين الغلو والتقصير كما يقول الحسن البصري، أما الشاطبي فيقول: "الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الأوسط، الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد، من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تكليف جارٍ على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال".

لهذا، فميزان الشرع هو ميزان المصالح والمفاسد، يضعها في كفتيه، فيرجح الأصلح ويدرأ المفسدة. يقول العلامة ابن القيم في هذا الشأن: "الشريعة مصلحة كلها، وعدل كلها، ورحمة كلها، فما خرج عن المصلحة إلى المفسدة، وعن العدل إلى الجور، وعن الحكمة إلى العبث، وعن الرحمة إلى ضدها، فليس من الشريعة".

فقد رسَّخ الإسلام المحبة بين الناس، ففي الحديث الشريف: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (رواه البخاري)، ولهذا أقرَّ الإسلام العدل بين الأفراد والأمم، وقرر بذل المعروف، وإطعام الطعام، ودفع جزء من المال لصالح الفقراء، تكريسًا للتكافل والتضامن في المجتمع. لهذا، شرع الإسلام الحوار وسيلة للمناقشة حول مختلف قضايا الاختلاف، حتى مع الاختلاف في الدين.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾(العنكبوت:٤٦)، حيث قال بعض العلماء، وعلى رأسهم التلمساني في مفتاح الوصول: إن المعنى "ولا الذين ظلموا منهم كذلك، أي أن هذا الجدال لا يُستثنى منه المنصف ولا الظالم، أي أن الجدل مع الجميع"، فتكون "إلا" هنا بمعنى الواو فاصلة، وهذا أمر معروف في اللغة العربية.

أما ابن بونا، فأشار في الزيادات:

وإن تكن إلا بمعنى الواو

فاعطف بها في قول كل راو

وهذا التفسير تزكّيه السيرة النبوية الشريفة، فقد كان الرسول ﷺ يحاور مشركي قريش، ونهى الإسلام عن المراء وهو الجدال الذي يُقصد به الظهور على الخصم بالباطل. وأقام العلاقة مع المخالف في الدين على المودة والبر، ما لم يعتدِ علينا: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(الممتحنة:٨)، بمعنى أن تعطيهم قسطًا من المال كما يقول ابن العربي المالكي.

خلاصة

إن العالم في حاجة إلى مقاربة ترتكز على الوعي بأن الدين بمثابة الطاقة، يجلب الازدهار والاستقرار. وإن الدين -في الأصل- طاقة سلام ومحبة ووئام. ونحن نعلم يقينًا أن الديانات المنتمية للعائلة الإبراهيمية، وغيرها من الديانات والفلسفات الإنسانية، تحمل نصوصها الكثير من الأسس التي تدعو إلى التعايش، وأن تعاليمها الأساسية حول السلام والتعايش، وحول عالمية الكرامة الإنسانية واحترام الاختلافات الدينية، هي باعتبارها مضادات قوية للتطرف والعنف. ■

(*) كاتب وباحث مغربي.

المراجع

(١) في تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، إيمانويل كانط، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، ط١، دار الجمل، ألمانيا، ٢٠٠٣م.

(٢) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي أبو إسحاق، ج٢، دار ابن عفان.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية.

hiragate.com

أ.د. محمد فتحي فرج*

جدوى الغذاء
في النمو والذكاء

الغذاء حاجة أولية وضرورة حياتية، وخصيصة أساسية من الخصائص التي تميز الكائنات الحية عما عداها من كائنات غير حية. هذا، فضلاً عما للغذاء من وظائف، قد تتعاظم في فترات نمو الكائنات الحية، إلا أن هذه الكائنات لا تستطيع أن تستغني عنه في أيّ مرحلة من مراحل حياتها وفترة عمرها، ونظرًا لوظائفه الكثيرة ترتبط به حياة الكائنات الحية، ومنها الإنسان.

النمو من أهم وظائف الغذاء

من الوظائف العامة للغذاء، إمداد الجسم بالمواد الخام البنائية التي يستطيع أن يوظفها -خاصة في مراحل النمو- لاستكمال مقومات الجسم البنائية، وبذلك يستطيع الكائن أن يتخطى هذه المراحل بنجاح مرحلة تلو أخرى. بيد أن معظم الكائنات البشرية يقف نموها (الظاهر) عندما يصل عمر الفرد منها إلى ٢١ عامًا تقريبًا. ولكن هل يعني ذلك توقف كل عمليات النمو؟ والإجابة بالقطع هي النفي. فالذي يتوقف فقط، هو النمو الظاهري إلى الحجم الأكبر الذي يبلغه الفرد. ولكن النمو لا يزال يسير

في اتجاه آخر، حيث إن الكائنات الحية تقوم تحت جميع الظروف الحياتية، بإحلال وتجديد الخلايا والمواد التي تحتويها باستمرار.

والحياة عبارة عن نشاط وتفاعل وحركة، وطالما ظل الكائن على قيد الحياة، فإنه ينمو إما بزيادة حجمه (في مرحلة النمو) أو بإحلال مواد جديدة محل أخرى متهالكة طوال فترة حياته، وعندما تقصر قدرة الكائن دون هذا النشاط، فإن حياته تتلاشى رويدًا رويدًا إلى أن تنتهي بالموت.

وجدير بالذكر أن لجميع أنواع الكائنات فترات حياة محددة تسمى بـ"فترة العمر" (Life Span). فالفأر يعيش حوالي ١٢-١٦ شهرًا، والجرذ والقنفذ فترة عمرهما تقريبًا ٣ سنوات، والنمر حوالي ١٤ سنة، والفيل حوالي ٥٥ سنة، والإنسان حوالي ٧٢ سنة.. وتخضع هذه المدة لدى الإنسان، لمجموعة من الاعتبارات والعوامل المعيشية كالحالة الغذائية، والظروف البيئية، والحالة الصحية، وغير ذلك من عوامل واعتبارات.

هذا وتنقسم فترة العمر إلى خمس مراحل: مرحلة البداية (التكوين)، ومرحلة النمو، ومرحلة النضج، ومرحلة التنكس أو الأفول، وأخيرًا مرحلة النهاية أو الموت.

بعد اكتمال تكوين الكائن الحي في المرحلة الجنينية، يمر بمرحلة النمو السريع، التي قد تستمر من عدة دقائق أو عدة أسابيع أو عدة أشهر إلى عدة سنوات (كما هو الحال لدى الإنسان)، اعتمادًا على نوع الكائن الحي.

وكلما تقدم الكائن في حجمه قلَّ معدل نموه، وفي النهاية يصل الكائن إلى مرحلة عندها لا يستطيع أن يُصلح أو يَستبدل ما تهالك من أجزاء جسمه أو مواده، وهنا يكون موت الكائن الحي، وهي علامات مرحلة التنكس والأفول والذبول، التي تنتهي عادة بالموت.

الغذاء هو مصدر الطاقة

لا بد لجميع الكائنات الحية من أن تستخدم الطاقة لاستمرارية حياتها. فالطاقة ضرورية ولازمة من أجل أن تتم الأنشطة الكيميائية، ذلك أن الحياة نفسها ما هي إلا حالة من النشاط أو التفاعل الكيميائي الدائم، وعلى ذلك فإنها بحاجة دائمة إلى الإمداد الطاقي.

وجدير بالذكر أن جميع صور الطاقة الخاصة بالحياة، هي في التحليل النهائي مشتقة من الطاقة الشمسية، ويتم تخزينها على هيئة مواد كيميائية مُعقدة في المواد الغذائية المختلفة. ثم تقوم الكائنات الحية بتحرير الطاقة المختزنة بالأغذية وذلك بأكسدتها، وإطلاق هذه الطاقة التي تقوم بدورها في تدعيم جميع عمليات الحياة.

الغذاء والأمراض

ومن الوظائف الهامة للغذاء، المحافظة على الجسم من الأمراض المختلفة، إذ يحتوي الغذاء على بعض العوامل كالفيتامينات والأملاح المعدنية، التي تعمل على إبقاء الجسم سليمًا معافى، وربما ينعكس نقص هذه العوامل الغذائية الهامة على شكل أمراض مختلفة. على سبيل المثال، فإن نقص عنصر الحديد يؤدي إلى نوع من الأنيميا (أنيميا نقص الحديد)، ونقص عنصر الكالسيوم يؤدي إلى ترقق وهشاشة العظام، لا سيما حينما يواكب ذلك نقص في فيتامين (د). أما نقص عنصر السيلينيوم فينجم عنه مظاهر مرضية مختلفة، منها نقص مناعة الجسم تجاه مسببات الأمراض، أما نقص الفيتامينات فينجم عنه مجموعة من الأمراض التي تختلف حسب نوع الفيتامين الذي يحدث فيه النقص.

hiragate.com

ولأهمية الغذاء في أداء هذه الوظائف المختلفة، والمحافظة على خلايا وأعضاء وأجهزة الإنسان من الأمراض المختلفة، يحثنا ربنا ﷻ على تناول الغذاء بقوله: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾(البقرة:١٦٨).

وعلى الجانب الآخر، فإن الإسراف في تناول الطعام، أو بعض أنواع معينة منه، يسبب أمراضًا معينة تُعرف بأمراض التغذية، ولا شك أن الوسطية والاعتدال اللذين هما من سمات الإسلام، حينما يطبقان في مجال الغذاء والتغذية، يكفلان الوقاية من مثل هذه الأمراض كالسمنة، وارتفاع ضغط الدم، وتصلب الشرايين، وأمراض القلب والجهاز الوعائي، وأمراض المفاصل، والتأثيرات السلبية على الهيكل العظمي والجهاز التنفسي، والجهاز الغدّي وخلافه، ولذلك يأمرنا ربنا جل وعلا بقاعدة ذهبية فيقول: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾(الأعراف:٣١).

الغذاء والذكاء

أما علاقة الغذاء بمعدلات الذكاء، فهي علاقة جدُّ وثيقة، سواء أكان ذلك بشكل مباشر أم بشكل غير مباشر، وسنحاول أن نوضح هذه العلاقة، طبقًا لما توصل إليه العلم الحديث من حقائق في هذا الصدد. فمن النتائج المثيرة -التي ذكرها "إدوين" (Edwin) في كتابه "Feast or Famine" (وليمة أم مجاعة)- لبعض الدراسات العلمية التي أجريت على حيوانات التجارب، أن إناث الجرذان والفئران، التي تعاني من سوء التغذية، فقد حملت نسلاً عاجزًا عن النمو الجسمي، ومتخلفًا من الناحية الذهنية، وشاذًّا من الناحية السلوكية. وقد نقل المؤلف تقريرًا لأحد الباحثين سجَّل فيه: إن هذه الذرية حينما وصلت إلى تمام النمو ثم أُجريت عليها اختبارات المتاهة، فإنها قد خرجت منها بسرعة أقل كثيرًا من الذرية التي خلفتها أمهات تمت تغذيتها تغذية سليمة. كما كان هذا النسل أيضًا عُرْضَة للإصابة بنسبة أكبر بالأمراض، كما اكتسب وزنًا أقل حينما غُذِّيَ بالتغذية ذاتها التي غُذِّيت عليها مجموعة المقارنة، كما بدا -بشكل عام- منخفض المناعة في مواجهتها للظروف الحياتية المتباينة.

أما تقرير النتائج الناجمة عن سوء التغذية فيما يتعلق بمخ الإنسان، فقد كان من الصعب بمكان تحقيقه؛ لأن مثل هذه التجارب لا يمكن تطبيقها على الإنسان بسهولة، كما أن البحوث الاستقصائية يصعب حتى الآن إنجازها. ومع ذلك فقد قام فريق من جامعة "كورنيل"، بفحص أمخاخ تسعة أطفال من "شيلي" ماتوا جميعًا من سوء التغذية، فوجدوا أن جميعهم كان لديهم عدد شبه شاذ أو غير طبيعي من خلايا المخ، كما وجدوا أن ثلاثة أطفال منهم كان عدد خلايا المخ لديهم أقل بنسبة ٦٠٪ مما عند أقرانهم من الأطفال الأسوياء الطبيعيين. ورغم أن فقدان خلايا المخ يمثل خسارة جسمانية غير مرتجعة (دائمة) ولا يمكن تعويضها، فإن صلتها بالذكاء والسلوك لا تزال محل دراسة. أما تكوين الغلاف الدهني "الميليني"، الذي من شأنه حماية محاور الخلايا العصبية -والذي يُقارن دوره بما تقوم به الطبقة البلاستيكية حول سلك معدني من عزلٍ وحماية- فيبدأ تكوينه في الشهر السابع من الحمل، فإذا لحق به ضرر وتلف بسبب سوء التغذية الحاد، فإن احتمال هبوط كفاءة المخ وتأثره سلبيًّا يصبح كبيرًا. وبعد الولادة، يستمر المخ في النمو بسرعة، فيتضاعف وزنه في غضون ستة أشهر، ثم يتضاعف مرة أخرى في الفترة التي يبلغ فيها عمر الطفل أربع سنوات. وعقب

hiragate.com

ذلك يأخذ المخ في النمو بصورة بطيئة. وحينما يصل العمر إلى ٢٠ عامًا تقريبًا، يكون مخه قد أصبح أكبر مما كان عليه بما يعادل ١٥٪ فحسب.

وفي أثناء السنوات الأربع الأولى من النمو، يأخذ تطور الجهاز الحسي والإدراكي للطفل في التقدم بشكل أسرع من أي وقت آخر من حياته. وقد ركز على أهمية هذه الفترة كثير من العلماء؛ إذ إن التعلم الإدراكي الذي كان يُعتقد بأنه يكون في مرحلة متأخرة، قد يبدأ من اليوم الأول من حياة الطفل. وقد لوحظ تقدمًا كبيرًا، ليس في جهاز المهارة فقط، وإنما أيضًا في استيعاب اللغة والمعرفة والتجربة، بل وفي تحديد الأهداف، يحدث هذا خلال السنة الثانية من عمر الطفل.

وقد أثبتت الدراسات العلمية حول التغذية وأداء المخ لوظائفه في الإنسان، في بحث على حالات الانحراف، أن الأطفال الذين كانوا يعانون من نقص في البروتين، كانوا أيضًا يعانون من اضطراب في وظائف جزء من المخ يُعرف بالمخيخ، وأن طاقتهم على التحدث بطلاقة أصبحت ضعيفة. وهناك دراسة أخرى أُجريت في جنوب أفريقيا، قارن الباحثون فيها بين ٢٠ حالة من الأطفال السود كانوا في حالة تغذية خطيرة، وتتراوح أعمارهم بين ١٠ شهور إلى سنتين، وبين مجموعة أخرى حسنة التغذية، ولكنها مشابهة للأولى في السلالة البشرية والجنس والطبقة الاجتماعية الاقتصادية. وبعد إحدى عشرة سنة تبين أن مجموعة الأطفال المصابة بسوء التغذية كانت رؤوسهم صغيرة بدرجة واضحة، وأنهم أقل ذكاءً -عند استخدام مقاييس الذكاء المختلفة- من المجموعة الأخرى.

الخلاصة

يتبين لنا من كل ما تقدم العلاقة القوية بين الغذاء والنمو والذكاء، ولذلك يأمرنا ربنا ﷻ بأن نتغذى من كل ما في الأرض من الحلال الطيب، من نبات وحيوان وطير، حيث يقول جل شأنه: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾(البقرة:١٦٨)، والملاحظ هنا أن الخطاب موجه لكل الناس مسلمين وغير مسلمين، فالجميع من خلق الله، والجميع محتاج لهذا الغذاء. أما حينما يخاطب المسلمين فيقول عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾(البقرة:١٧٢). ولأهمية الأطعمة البروتينية -من الناحية الغذائية- يأمر الله تعالى مَن لبّوا نداء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام فحجوا البيت وأهدوا، أن يطعموا الفقراء والمعوزين من هدي بهيمة الأنعام، حيث يقول جل شأنه: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾(الحج:٢٨).

وعلى هذا، فإن الاهتمام بتغذية الأمهات -خاصة الحوامل والمرضعات- ضرورة حياتية لإنتاج نسل طبيعي من الناحية الجسمية، سويّ من الناحية العقلية والنفسية. كما أن الاهتمام بالغذاء -كمًّا ونوعًا- مهم أيضًا في كل مراحل العمر، وإنما تتضاعف أهميته في فترة الطفولة، تلك التي تتميز بمعدل نمو عالٍ، وفي فترة الشيخوخة، لتمنح الجسم فرصة هائلة في عملية تعويض ما يتهدم من بنيان الجسم بشكل مناسب، ومعدلٍ أفضل. ■

(*) أستاذ علم الحيوان، جامعة المنوفية / مصر.

hiragate.com

د. محمد السقا عيد*

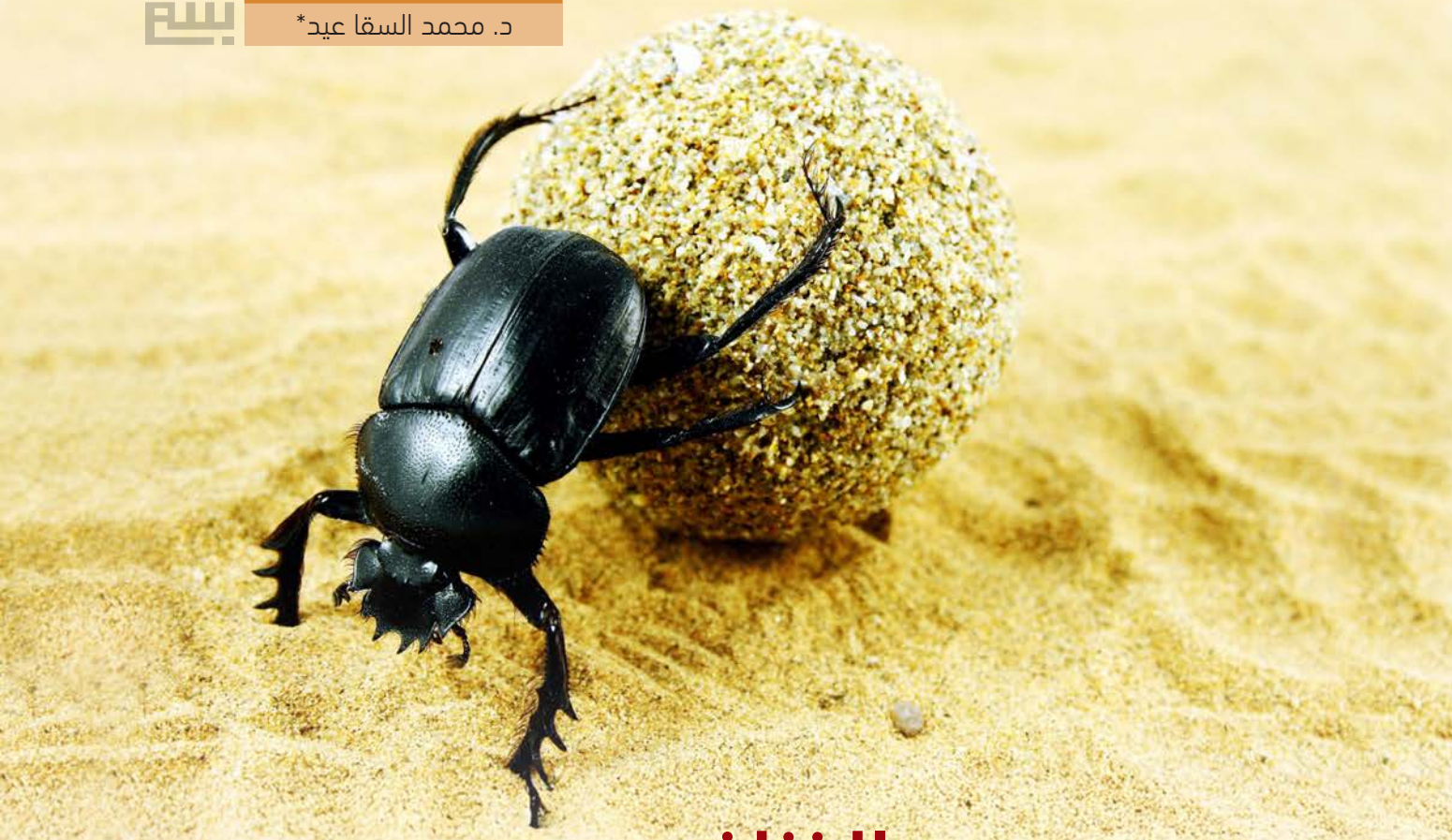

الخنافس
ودورها الفعال في التوازن البيئي

تعتبر الخنافس أنجح الكائنات على سطح الأرض؛ لأنها تتلاءم مع أي بيئة، فالبعض منها له القدرة على امتصاص الرطوبة من الجو بواسطة أجنحتها لتحتفظ بمياهها، مما يجعلها تسير في الصحراء حيث الرطوبة نادرة، وبعضها تستطيع العيش تحت الماء لأنها تخزن الهواء بأجنحتها. ويوجد أنواع من الخنافس تعيش على روث البهائم أو أجزاء معينة من النباتات والحيوانات الميتة.

الخنافس إما سوداء أو بنّية اللون، وكثير منها لونه أحمر أو أزرق أو أخضر أو خليط من الألوان. وقد أثبتت التجارب أنها أقوى حشرةٍ في العالم بشكل خاص، وأقوى حيوان في العالم بشكل عام؛ وذلك لقدرتها على سحب كتل ضخمة تزيد عن وزنها بما يقارب الـ١١٤١ مرة، وهذه القدرة الكبيرة لا نجدها في الكائنات الحية الأخرى. هذه القدرة تساعد الخنفساء على القيام بتلك المهمات الصعبة بجسمها الصلب وقوائمها القوية المتينة. وللخنافس حاسة شم قوية جدًّا تساعدها على تمييز الحشرات الأخرى على مسافات بعيدة في بعض الأحيان، وعلى إيجاد الطعام لها ولصغارها. تتمتع الخنافس بعينين كبيرتين، وقد تكون لها في بعض الأحيان عين ثالثة في أعلى رأسها، ولكن حاسة النظر ليست شديدة الأهمية بالنسبة لها.

بعض أنواع الخنافس

الخنافس من أكثر الحشرات انتشارًا على الإطلاق، فقد أحصى العلماء ٣٠٠ ألف نوع منها تقريبًا. وهي حشرات صلبة ذات أرجل قوية وتستطيع العض، ويبدو

بعضها مخيفًا في شكله.. يغطي أجنحتَها التي تطير بها زوج آخر من الأجنحة الجلدية لوقايتها، ولذلك تسمى هذه الحشرات "غمدية الأجنحة". وفي هذه الأنواع العديدة تجد مختلف الأحجام والأشكال والألوان، بعضها يحمل أشواكًا قرنية الشكل تسمى خنفساء "وحيد القرن". ولخنفساء الوعل الأوروبية فكوك قوية تشبه قرون الوعل، وهي تحارب بوحشية، كما أن هناك نوعًا أمريكيًّا يسمى "الخنفساء القارصة". وكثير من الخنافس يتمتع بدروع لامعة تلمع كالذهب أو تحلل الضوء الواقع عليها، وتظهر في ألوان متعددة، وبعضها منقّط كالفهد أو مخطط كالنمر، ويشيع بينها اللونان البني والأسود. وتبدو الخنافس الخضراء في صورة جميلة، ولكن تفوقها حسنًا الخنافسُ الزرقاء، والأنواع الكبيرة منها مبرقشة. وثمة خنفساء البلياتشو (المهرج) في جزر الهند الغربية، وسُميت بهذا الاسم لأن عليها علامات غريبة من لون أحمر وأبيض وأسود.

وتعد خنفساء "الدفن" بمثابة حانوتي عالم الحشرات، فهي عندما تجد حيوانًا ميتًا ولو كان يكبرها حجمًا -مثل فأر مثلاً- تبدأ عملها على الفور وتحفر الأرض تحته مباشرة، حتى يسقط في الحفرة وينهال عليه التراب. وهناك سبب وراء هذا النشاط، حيث إن أنثى الخنفساء تضع بيضها في هذا القبر الحديث، لتجد يرقاتُها غذاءها من اللحم متوافرًا أمامها عندما تفقس. وهناك خنفساء كبيرة توجد في بلاد البحر المتوسط تسمى "الجعران المقدس"، وكان لهذه الخنفساء منزلة عالية لدى المصريين القدماء، ولقد اتخذ صانعو الجواهر شكلها في عمل الخواتم والأساور، حتى إن الإمبراطور كان يستعمل خاتمًا على شكل الجعران ويختم به الوثائق الرسمية. وكثيرًا ما كانت تدفن الجعارين المقدسة مع الموتى لتحميهم في العالم الآخر، وليس هناك حشرات أخرى كُرِّمت هذا التكريم.

أما "خنفساء المدفعية" التي عندما يطاردها عدو أكبر منها، تهرب منه بعد أن تطلق في الجو شيئًا قليلاً من سائل يتحول إلى بخار أزرق له رائحة منفرة.

وإن الخنافس المضيئة تلهم صناعة المصابيح، وهي حشرة لا يتجاوز حجمها ملليمترات، وفي داخلها يعمل مصنع طاقة رهيب ينتج كميات من الطاقة المضيئة تتفوق -وبفارق مهول- على أحد أعظم الاختراعات البشرية (المصباح الكهربائي). يحتوي جسم هذه الحشرة على إنزيم ليوسيفيرين وإنزيم ليوسيفيريز، ومع وجود مصدر للأكسجين ووجود ثالث فوسفات الأدينوسين، ينتج عن ذلك تفاعل يؤدي إلى الضوء، من خلال جانبي السطح البطني للخنفساء (الحلقات الأخيرة من البطن). وتتوقف كمية الضوء المنبعثة من الخنافس على كمية الأكسجين الداخلة في التفاعل، فعندما تريد الخنافس إنتاج وميض طويل لفترة طويلة، فإن المخ يعطي تيارًا عصبيًّا إلى نهايات الجهاز التنفسي، لإنتاج كمية كبيرة من الأكسجين إلى داخل الخلايا الضوئية، وبالتالي يتم إنتاج كمية كبيرة من الضوء.

وبعد تحليل العلماء لهذا الضوء ومقارنته بمصباح أديسون، وجدوا ما أذهلهم؛ إذ وجدوا أن الضوء المنبعث من الخنافس عبارة عن ١٠٠٪ طاقة ضوئية، و٠٪ حرارة، أما المصباح الكهربائي فهو يعطي ١٠٪ إضاءة فقط، و٩٠٪ حرارة.

وقد ذكر العلماء أسبابًا عديدة لإضاءة هذا النوع من الحشرات منها: أنها تعيش في غابات كثيفة، وبعضها في أعماق البحار، وهي مناطق مظلمة تحتاج إلى إضاءة لجذب فرائسها من الحشرات الأخرى الصغيرة، والتي تنبهر بأضوائها فتقترب منها فيتم اصطيادها، أو لتخويف بعض الحيوانات والحشرات الأخرى التي

hiragate.com

تحاول افتراسها، فهي وسيلة للدفاع عن النفس.

وعليه، فإن صلابة الخنفساء الشيطانية، ملهمة لخبراء الهندسة. فعلى الرغم من افتقار هذه الحشرة إلى أدنى مظاهر الحسن الذي تتمتع ببعضه طائفة من أبناء عمومتها الأكثر لمعانًا، فإن الخنفساء المدرعة الشيطانية تمتلك هيكلاً خارجيًا يشبه الحجر، حيث يزودها ذلك الهيكل الخارجي، بالصلابة التي تمكن هذا النوع من الخنافس من مقاومة الدعس بالسيارات أو السحق تحت الأقدام أو أن تكون لقمة سائغة للمفترسات. هذه الخنفساء "مدرعة أرضية"، فهي ليست خفيفة الوزن وسريعة، بل إنها تشبه إلى حد كبير دبابة صغيرة. وجدت الدراسة أن هذه التصميمات البديعة، توفر قوة معززة ومتانة متزايدة بشكل كبير، مقارنةً بالمفاصل الهندسية شائعة الاستخدام.

وقد جذب هذا التصميم الخارجي المتين اهتمام العلماء، رغبة منهم في معرفة الأسرار التي تجعله إحدى أقوى المواد الطبيعية الموجودة في العالم. ففي الدراسة التي نشرتها دورية "نيتشر" في أكتوبر ٢٠٢٠م، استخدم العلماء مجموعة من الأدوات لاكتشاف الخصائص الفيزيائية والميكانيكية التي تمنح الخنفساء الشيطانية تلك القدرات المذهلة.

وحديثًا، كشف علماء من جامعة كاليفورنيا-إرفاين وجامعة بيردو الأميركيتين، مدى قسوة هذا الدرع، إذ وجدوا أن هذه المدرعة الشيطانية يمكنها أن تبقى على قيد الحياة حتى وإن دهست بشيء يزن ٣٩٠٠٠ مرة من وزنها، أي ما يقرب من حمل كومة من ٤٠ دبابة قتال، وذلك بفضل الروابط المعقدة بين أجزاء مختلفة من الهيكل الخارجي للحشرة، حتى السيارة لا تستطيع دهسها.

الاستفادة من الخنافس في المكافحة الحيوية

تعتبر حشرات خنافس "أبو العيد"، من أهم الحشرات الاقتصادية في برامج المكافحة الحيوية، حيث تقوم بافتراس الحشرات الضارة، مما جعل الباحثين يستخدمونها في برامج المكافحة الحيوية كأعداء طبيعية للحشرات الزراعية الضارة، وتُعد من البدائل الآمنة للمكافحة، إذ تُسهم في تقليل استخدام المبيدات الزراعية الضارة بالإنسان والبيئة، حيث إن ٩٠٪ منها مفترسات للحشرات الضارة.

استطاع فريق من الباحثين كشف الآلية التي تستطيع من خلالها خنفساء صحراوية التقاط الماء من الهواء الجاف، في خطوة قد تساهم في توفير المياه النظيفة للمجتمعات التي تعاني من نقص في المياه.

تُستخدم الخنافس ضد البيض واليرقات والحشرات المكتملة ذات الأجسام الصغيرة اللينة، مثل المن وبعض أنواع العث والعناكب. وللخنافس دور فعال في مكافحة الحشرات الضارة التي تعيش على الجهة السفلية من الأوراق والبراعم والجذوع الجديدة، حيث يكون الرذاذ والغبار غير فعالين بسبب صعوبة وصول هذه المبيدات إلى تلك الحشرات.

وتعتبر خنفساء "الكالوزوما" من أهم المفترسات الحشرية، التي تفترس عددًا كبيرًا من الآفات الضارة التي تصيب الأشجار والمحاصيل الحقلية. وهي من الخنافس الأرضية التي تستطيع ملاحقة الآفات الضارة فوق التربة وتحتها، مثل جادوب أعشاش الصنوبر، وديدان لوز القطن، ومعظم ديدان الثمار، لذلك تُسمى "صائدة اليرقات".

محاكاة الخنفساء في التقاط الماء قد ينهي الجفاف

استطاع فريق من الباحثين كشف الآلية التي تستطيع من خلالها خنفساء صحراوية التقاط الماء من الهواء الجاف، في خطوة قد تساهم في توفير المياه النظيفة للمجتمعات التي تعاني من نقص في المياه.

حشرة بحجم التوت الأزرق وتعيش في بيئة صحراوية، هذه الخنفساء الفريدة من نوعها، قد تكون حلًّا لجمع المياه في الصحاري القاحلة، بعد أن استطاع فريق من الباحثين من جامعة أكرون الأمريكية دراسة آليتها الفريدة في حصد قطرات المياه.

وقد أعلن العلماء من خلال ورقة بحثية نُشرت في مجلة "ساينس"، أن الكشف عن سر هذه الآلية قد يساعد في توفير المياه النظيفة للمجتمعات التي تعاني من ندرة المياه. فقد طوَّرت خنافس الصحراء النامبية

hiragate.com

طريقة مثيرة للتغلب على نقص المياه في الصحراء، حيث تشرب قطرات الماء المتكاثفة على ظهورها من خلال أبخرة الهواء. وعلى الرغم من أنها لا تبدو طريقة فعالة للغاية، إلا أن الخنفساء تنجح في الحصول على كمية الماء اللازمة لها. ويتضح أنها تفعل ذلك بفضل التصميم الخاص لسطح ظهرها، المُعد لإنتاج قطرات كبيرة من الماء بسرعة عالية، وهذا التصميم قد يُساعد في تطوير أنظمة فعالة لتكثيف المياه وسوائل أخرى.

فلسنوات عديدة، حاول العلماء تعلم أسرار هذه الحشرة، إلا أن فريقًا من الباحثين اكتسب الآن فقط، نظرة أعمق في كيفية عمل هذه التفاصيل "الوعرة" على جسدها في جمع المياه. وقد اختار "كيو تشول بارك" وغيره من الباحثين من جامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية، طريقة أخرى من أجل تقليد ما أنتجته الطبيعة بالفعل. فقاموا بفحص الجزء الخلفي (الظهر) لخنفساء الصحراء، ولاحظوا أنه مغطى بنتوءات يبلغ قطرها حوالي مليمتر واحد. وفي مقال نُشر في مجلة "نيتشر"، أفاد "بارك" وزملاؤه بأنهم قاموا ببناء سطح مماثل من الألومنيوم، وأظهروا أن قطرات الماء التي تنشأ عليه تزداد بمعدل أسرع بست مرات من تلك التي على السطح الأملس، كما أن القطرات الناتجة على السطح ذي النتوءات تكون أكبر حجمًا.

ويرى الباحثون أنه إذا تمكنوا من محاكاة هذه الخصائص، فيمكن للمهندسين تصميم جهاز لجمع المياه يمكن استخدامه في خيام اللاجئين لالتقاط قطرات الماء من الهواء. وقد يتم تصنيع هذه المواد -أيضًا- في قنينة تستطيع إعادة ملء نفسها باستخدام الماء الموجود في الهواء.

في الختام

على الرغم من نفور الكثيرين من حشرة الخنفساء بما تثيره في نفوسهم من اشمئزاز وتقزز، إلا أن لها دورًا مفيدًا في حياة الإنسان. فهي تتغذى على النباتات الضارة والحشرات القشرية، كما تساعد في حماية الحقول الزراعية من الطفيليات والحشرات الضارة، دون الحاجة إلى استخدام المواد الكيميائية. وتلعب الخنافس الأرضية دور المطهر، حيث إنها تتغذى على الحشرات التي نرغب في التخلص منها، مثل اليسروع والحلزونيات.

كما تُستخدم الخنافس في الكشف عن الجرائم، إذ تتحلل على الجثث، مما يسمح للعلماء بتحليلها للكشف عن سبب الوفاة. إضافة إلى ذلك، تُساعد الخنافس في البحث عن الناجين في الكوارث، حيث استطاع العلماء تأهيلها للقيام بدور بطولي في البحث عن ناجين في المناطق الوعرة والمواقع الخطرة، مثل الزلازل المدمرة.

كما دخلت الخنافس في صناعة أجهزة التكييف نظرًا لقوتها الخارقة، فقد أكد علماء جنوب إفريقيا إمكانية الاعتماد عليها في هذا المجال. وتوصل الباحثون بالتعاون مع باحثين من السويد، إلى أن الخنافس تستطيع العمل في ظروف صعبة لا تستطيع غيرها من المفصليات العمل فيها، مما يجعلها مكيفًا طبيعيًا فعالاً.

إضافة إلى ذلك، تعزز الخنافس نمو النبات، فقد أثبتت الدراسات أهمية خنفساء الروث البالغة للبيئة، حيث تعيد تدوير المغذيات مثل النيتروجين، مما يعود بالنفع على النباتات. كما تساعد في تهوية التربة ونشر البذور وإزالة الطفيليات.

على البشر -إذن- أن يتقبلوا التعايش مع هذه الحشرات المفيدة، التي تحافظ على صحتهم وتوازن البيئة، بدلاً من التقزز أو الاشمئزاز عند رؤيتها. ■

(*) استشاري طب وجراحة العيون / مصر.

hiragate.com

أحمد السيد أحمد*

مقاطع ريلز وتأثيرها في الواقع الاجتماعي

مقاطع ريلز (Reels) هي مقاطع فيديو قصيرة يمكن للمستخدمين نشرها على منصات التواصل الاجتماعي، حيث يتم تصوير الفيديوهات -عادة- في مدة تتراوح من ١٥ إلى ٦٠ ثانية. تتميز هذه المقاطع بقدرتها على دمج المؤثرات الصوتية، والفلاتر، والنصوص، والرسومات، ما يسمح للمستخدمين إضافة لمسات إبداعية تجعل الفيديوهات أكثر جذبًا. الهدف الأساسي من ريلز هو تقديم محتوى ترفيهي ومفيد بطريقة سريعة وسهلة، مع التركيز على الإبداع في عرض الأفكار.

ولقد حققت مقاطع ريلز نجاحًا كبيرًا فور إطلاقها، وساهمت في إعادة تعريف كيفية إنشاء ومشاركة المحتوى على وسائل التواصل الاجتماعي. أما الأسباب وراء هذا النجاح فهي كالتالي:

١- المحتوى السريع والمباشر: في عالم اليوم، يفضل العديد من المستخدمين المحتوى القصير والسريع.

مقاطـع ريلـز توفـر تجربة مشـاهدة سـريعة دون الحاجة للانتظـار لفتـرات طويلة، مما يجعلها مثالية للأشـخاص الذين ليس لديهم وقت لمتابعة مقاطـع الفيديو الطويلة.

٢- سـهولة الوصـول والإنتاج: إنشـاء مقاطـع ريلـز سـهل للغايـة، ولا يتطلـب معـدات تصويـر متقدمـة أو مهارات احترافية. لذا، يمكن لأي شـخص التقاطَ فيديو باسـتخدام هاتفـه المحمـول، وإضافة المؤثـرات اللازمة باستخدام الأدوات المتاحة في التطبيق.

٣- التفاعـل والمشـاركة: مقاطـع ريلـز تشـجع علـى التفاعـل بشـكل أكبـر مـع المحتـوى، كمـا يمكـن للمسـتخدمين الإعجـاب بالمقاطـع والتعليـق عليهـا ومشـاركتها بسـهولة، مما يعزز من التفاعل بين المنشئين والجمهور. وكذلك، يتم عرض مقاطـع ريلز في صفحة الاستكشـاف الخاصـة بالمنصـة، ممـا يزيـد مـن فـرص وصولها إلى جمهور أوسـع. بفضل خوارزميات وسائل التواصـل الاجتماعي، يمكن للمقاطـع أن تنتشـر بشـكل أسرع وتصل إلى ملايين الأشخاص في وقت قصير.

٤- المحتوى الإبداعي: توفـر مقاطـع ريلـز مسـاحة واسـعة للإبـداع، حيـث يمكـن للمسـتخدمين اسـتخدام الموسـيقى والفلاتـر والتأثيـرات المختلفـة، لإنشـاء محتـوى مبتكـر. وهذا التنوع يجعل من ريلز منصة مثالية للمحتوى الترفيهي والتعليم.

تأثير ريلز على وسائل التواصل الاجتماعي

تُعتبـر منصـات التواصـل الاجتماعـي، من أبرز الوسـائل التـي تعكـس التغيـرات الثقافيـة والاجتماعيـة فـي المجتمعـات الحديثـة. وتبـرز مـن بيـن هـذه المنصـات، مقاطـع ريلز كأداة فعالـة، ليس فقط للمحتوى الإبداعي والترفيهي، ولكـن -أيضًـا- كمرآة تعكس المعايير الثقافية والاتجاهات الاجتماعية السائدة.

في حين تُسـتخدم ريلز في المقام الأول للمحتوى الإبداعي والترفيهي، فإن تأثيرها يتجاوز هذا الاستخدام البسـيط، حيـث تعتبـر ريلـز نافـذة يمكـن مـن خلالهـا مشـاهدة وفهـم المعاييـر الثقافية السـائدة والاتجاهات الاجتماعية المختلفة. تتيح هذه المنصة للمسـتخدمين عـرض محتـوى يعكـس اهتماماتهـم وأفكارهـم، ممـا يجعلهـا مصـدرًا غنيًّـا بالبيانـات التـي تعبر عـن الواقـع الثقافـي والاجتماعـي. وتُعد ريلز أكثر من مجرد منصة ترفيهية؛ فهي أداة تعكس نبض المجتمـع وتعطي لمحة جيـدة عـن التغيـرات الثقافيـة والاجتماعيـة الجاريـة. ويمكن للعلماء والباحثين الاسـتفادة من هذه المنصة، للحصـول علـى رؤى دقيقـة وشـاملة حـول المجتمـع الحديث، مما يساهم في تعزيز فهمنا للثقافة والتواصل في العصر الرقمي.

لقد أثرت مقاطـع ريلز بشكل كبير على كيفية تفاعل المسـتخدمين مـع منصـات التواصـل الاجتماعـي؛ فـي البدايـة، كانـت الفيديوهـات الطويلـة هي الأكثر شـيوعًا، ولكـن مـع ظهـور ريلـز، أصبـح الفيديـو القصيـر هـو الخيـار المفضل للكثيرين. وهذه الظاهرة لا تقتصر على إنستجرام فقط، بل امتدت إلى منصات أخرى أيضًا.

مقاطـع ريلـز جعلـت مـن الوسـائط المتعـددة، أكثر سهولة في الوصول إليها. في السابق، كان يتطلب إنشاء محتـوى فيديـو احترافـي الكثيـر مـن الوقـت والمـوارد، ولكـن الآن يمكـن لأي شـخص إنشـاء مقاطـع فيديـو جذابة باستخدام هاتفه المحمول فقط.

التأثيرات النفسية والعقلية لمقاطع ريلز

إن مقاطـع ريلـز توفر مصـدرًا للترفيه، ولكن تمتلك في المقابـل، القـدرة علـى التأثير سـلبًا على الصحـة العقلية والفهـم. وتأثيـر ريلـز علـى الصحـة العقليـة أمـر بالـغ الأهميـة، لتطوير إسـتراتيجيات لتعزيز علاقة أكثر صحة مـع هذه المنصات الرقمية. ويتطلب ذلك الوعي بالآثار النفسية المحتملة لمحتوى ريلز، والحد من الوقت الذي نقضيـه فـي مشـاهدة هـذه المقاطـع، وتخصيـص فترات زمنية معينة لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي، بما في ذلك مقاطـع فيديو ريلز، يمنعها من أن تسـيطر على يومنا بالكامل. بالإضافة إلى تعزيز التفكير النقدي حول المحتوى المعروض فيها.

والتفاعل المسـتمر مـع هذه المقاطـع قد يؤدي إلى تأثيـرات نفسـية وعقليـة مختلفـة، منهـا الشـعور بالقلـق والاكتئاب بسبب المقارنات المستمرة مـع الآخرين في المقاطـع، والشـعور بالنقص أو عـدم الرضا عن الحياة

hiragate.com

الشخصية. لذا، يجب التعامل مع محتوى ريلز بشكل مسؤول، من خلال الوعي بأن ما يُعرض ليس دائمًا حقيقيًا أو شاملًا، والحد من الوقت الذي نقضيه في مشاهدة هذه المقاطع للحفاظ على صحتنا العقلية. ومن خلال فهم التأثيرات المحتملة لمقاطع فيديو ريلز، يمكننا اتخاذ خطوات استباقية للتعامل مع هذه الظاهرة الرقمية بمسؤولية، وضمان ألا تؤثر سلبًا على صحتنا النفسية والعقلية.

تأثير ريلز على الأطفال

تُعد منصات التواصل الاجتماعي، وخاصة تلك التي تتيح خاصية ريلز -مثل إنستجرام وتيك توك- جزءًا كبيرًا من حياة الأطفال والمراهقين في العصر الرقمي. هذه المقاطع القصيرة التي تعتمد على الجاذبية البصرية وسرعة التفاعل، تحمل تأثيرات متعددة على الأطفال تتنوع بين الإيجابية والسلبية. ومن التأثيرات الإيجابية ما يلي:

أ- التعلم الإبداعي: يمكن للريلز أن تكون مصدرًا للتعلم من خلال عرض مقاطع تعليمية ممتعة ومبتكرة. حيث تقدم بعض المقاطع محتوى علميًا أو ثقافيًا موجهًا للأطفال، مما يساعدهم على اكتساب معرفة جديدة بطريقة ترفيهية. ويشجع الأطفال على التعبير عن إبداعهم، سواء من خلال إنتاج محتوى بأنفسهم، أو التعرف على أفكار إبداعية جديدة.

بـ- تنمية المهارات: تُحفز مقاطع ريلز الأطفال على تطوير مهارات تقنية مثل تحرير الفيديو، واستخدام المؤثرات الخاصة، والتفاعل مع التكنولوجيا. وتساعدهم -كذلك- على تحسين مهارات التواصل من خلال مشاركتهم في إنشاء محتوى، والتفاعل مع جمهورهم. ومن ثم يمكن للأطفال الشعور بالارتباط مع أقرانهم من خلال مشاهدة محتوى مشترك والتعليق عليه.

وأما التأثيرات السلبية فتشمل ما يلي:

• **إدمان الشاشات:** خاصية ريلز تُبنى على خوارزميات مصممة لجذب الانتباه لفترات طويلة. وقد يؤدي هذا، إلى إدمان الشاشة لدى الأطفال، مما يقلل من الوقت الذي يقضونه في الأنشطة البدنية والتفاعلات الاجتماعية المباشرة.

• **التأثير على الصحة النفسية:** المحتوى غير المناسب قد يصادف الأطفال مقاطع تحتوي على محتوى غير ملائم لعمرهم مثل العنف والتنمر أو الرسائل السلبية. المقارنة الاجتماعية يمكن أن تؤدي مشاهدة حياة مثالية مزيفة على ريلز إلى شعور الأطفال بعدم الرضا عن حياتهم.

• **انخفاض التركيز:** تؤدي المقاطع القصيرة إلى تعويد الدماغ على الاستجابات السريعة وقلة الصبر، مما قد يؤثر على قدرة الأطفال على التركيز لفترات طويلة.

• **التأثير على الهوية والقيم:** قد يتأثر الأطفال بتوجهات غير واقعية، مثل المثالية في المظهر أو سلوكيات سلبية تُظهرها بعض المقاطع.

نصائح للآباء والمربين

يجب على الآباء مراقبة ما يشاهده الأطفال، ووضع قيود على المحتوى غير المناسب. ولا بد من استخدام إعدادات الرقابة الأبوية على التطبيقات. كما يجب عليهم تحديد وقت معين لاستخدام الأجهزة الذكية لتجنب الإدمان. ولا بد من تعليم الأطفال التفكير النقدي لفهم أن ما يرونه على ريلز قد لا يعكس الواقع. كما ينبغي تعزيز الأنشطة البدنية والهوايات لدى الأطفال، مثل القراءة والرسم، لإيجاد توازن صحي بين العالم الرقمي والحياة الواقعية.

إن ريلز أداة ترفيهية وتعليمية قوية، لكنها سلاح ذو حدين. لذا، يتعين على الآباء والمعلمين توجيه الأطفال لاستخدام هذه التقنية بطريقة بنّاءة، من خلال مراقبة المحتوى، وتحديد الوقت المخصص لها، وتعزيز القيم الإيجابية لديهم. وبهذه الطريقة، يمكن الاستفادة من مزايا ريلز مع تقليل آثارها السلبية على الأطفال.

وأخيرًا، إذا كنا نلاحظ أن ريلز، أو وسائل التواصل الاجتماعي، تؤثر سلبًا على صحتنا العقلية والنفسية، فالتواصل مع الأصدقاء والعائلة، أو المختصين في الصحة العقلية، يمكن أن يوفر إستراتيجيات التكيف والمساعدة في التغلب على التحديات المرتبطة بالاستهلاك الرقمي. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

hiragate.com

د. صهباء بندق*

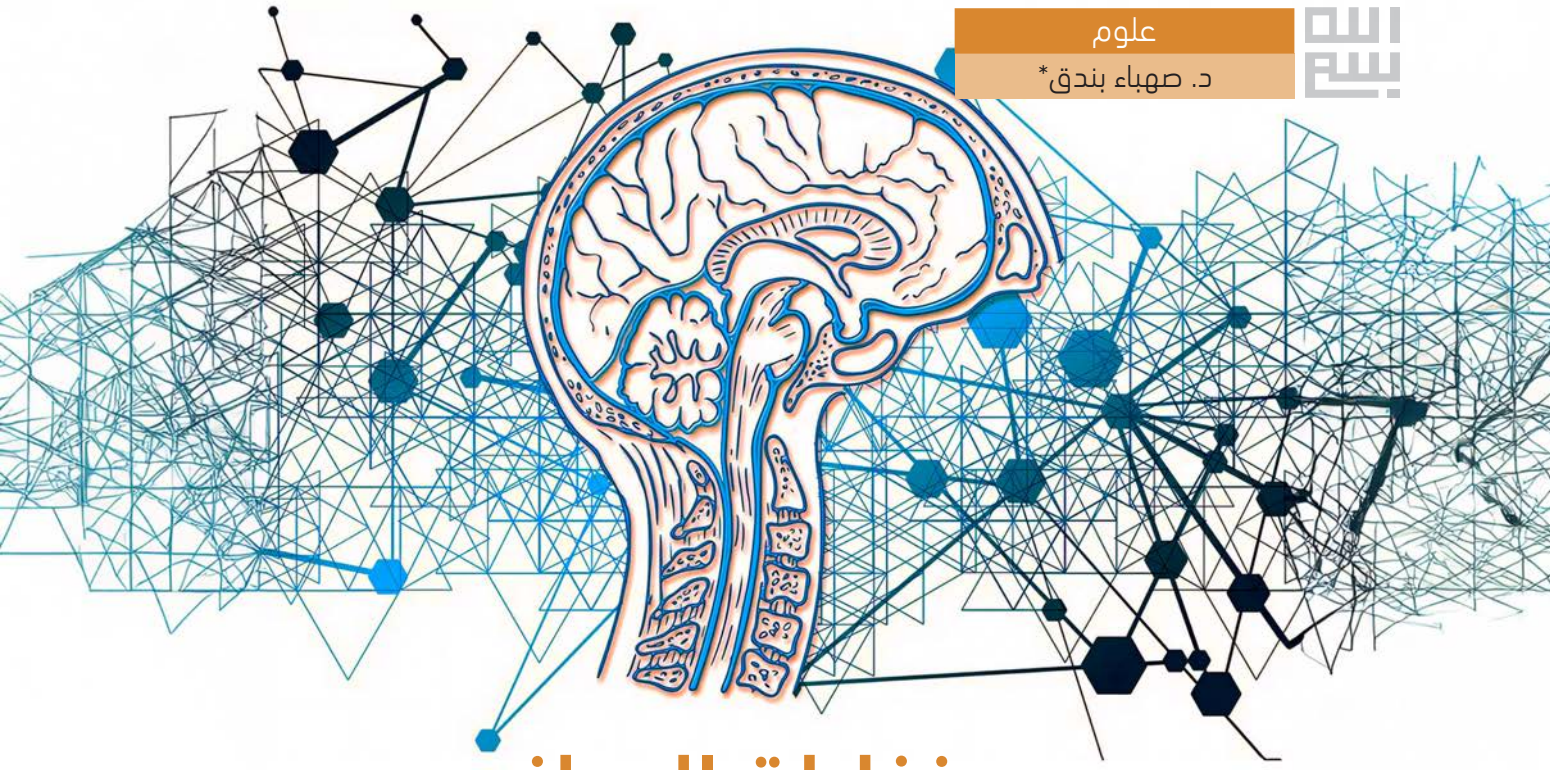

نفايات الدماغ
أزمة معقدة وحل مثالي

يستهلك الدماغ وحده من ٢٠ إلى ٢٥٪ من طاقة الجسم، أي ربع طاقة الجسم الإجمالية تقريبًا! ويتعين عليه أن ينجح في التخلص من ٨ جرامات تقريبًا من المخلفات يوميًّا. وما يزيد الأمر تعقيدًا، أن هذا الدماغ لا يمتلك أوعية لمفاوية مثل بقية أعضاء الجسم، وليس لديه جهاز مخصص لتصريف النفايات؟ إذن، كيف يقوم بعملية التصريف؟

نشاط لا ينقطع ومخلفات لا تنتهي

بسبب النشاط الكهربائي الهائل لخلايا الدماغ التي لا تنام أبدًا، ينتج الدماغ قدرًا هائلاً من المخلفات الخطيرة؛ فهو مشغول بالعديد من المهام حتى عندما يكون جسمك في حالة استرخاء كامل أثناء النوم. فبينما أنت غارق في نومك، يعتني دماغك بتنظيم العمليات التلقائية، مثل التحكم في نبضات القلب، وتنفس الرئتين، ودرجة حرارة الجسم، وحركة الجهاز الهضمي، والكثير من العمليات الحيوية الداخلية الأخرى. وعلى الرغم من أن الدماغ يشكل فقط ٢٪ من كتلة الجسم، إلا أنه يعمل كمفاعل ضخم ومعقد جدًّا، ويستهلك الكثير من الطاقة، ولا يتوقف عن إنتاج المخلفات. ولكن هذا الأمر يضع الدماغ أمام أزمتين كبيرتين:

١- ضرورة تأمين حصص من الأكسجين والعناصر الغذائية أكثر من حصة أي عضو آخر. وتتجلى قدرة الخالق في حل هذه الأزمة، من خلال توفير شبكة إمداد دموي معقدة وكثيفة، لدرجة أنها تمثل معظم حجم الكتلة الدماغية، وتتوزع فيها بغزارة وعمق، ما يضمن توصيل الغذاء والأكسجين لكل خلية في كل ثنية من تلافيف الدماغ.

٢- التخلص من المخلفات الناتجة عن نشاطه الهائل، حيث يحتوي الدماغ على ١٠٠-٢٠٠ مليار خلية عصبية صغيرة جدًّا، بحيث لو وضعنا ٢٠٠ ألف خلية بجانب بعضها البعض، لما تجاوزت في حجمها حجم رأس الدبوس! تنتقل المعلومات بين هذه الخلايا بسرعة ٢٥٠ ميلاً في الساعة، وفي الثانية الواحدة، تعبر بين فصي الدماغ الأيمن والأيسر بلايين المعلومات والإشارات العصبية، ويتم عدد من التفاعلات الكيميائية يُقدر بما بين ١٠٠ ألف إلى مليون تفاعل!

وبديهي أن تتولد من هذه التفاعلات المحمومة كميات هائلة من المخلفات البروتينية والنفايات الأيضية، التي يتعين على الدماغ التخلص من ربعها يوميًّا كي لا تتراكم بداخله، فما أن يتخلص من جزء حتى تحل محله مخلفات أخرى جديدة. وهذه هي ثاني أكبر أزمة على الدماغ تنتظر الحل.

العضو الوحيد بلا شبكة صرف

يُعدُّ التخلص من المخلفات مهمة حيوية وحساسة جدًّا بالنسبة لأي عضو داخل الجسم، ولا سيما للدماغ. تخيل، لو تُرك مطبخ بيتك دون تنظيف ليوم أو أكثر، أو لو أضربوا عمال النظافة عن العمل في مدينتك، ستتراكم -حتمًا- كمية مهولة من النفايات، ولما استطاع أحد المشي في الشوارع أو دخول الأسواق.

هذا بالضبط ما يحدث في دماغك الذي يعمل بنشاط طوال اليوم، وينتج كمية كبيرة من المخلفات التي إن بقيت داخله، فخلاياه لن تستطيع تأدية وظائفها على نحو سليم، بل يمكن أن تتلف بالكامل، ومن هنا جاء وصف تلك المخلفات بـ"السامّة".

أخطر هذه النفايات مادة "بيتا أميلويد" (Beta-Amyloid)، التي تتكون داخل الدماغ كمنتج جانبي، ويجب أن يتم التخلص منها بشكل فوري طوال الوقت؛ لأنها لو تراكمت، فسوف تترسب على شكل صحائف أو لويحات بيتيدية لزجة، وتعمل على سد الفراغات بين الخلايا الدماغية، مما يربك وظائف الدماغ ويُبطئ العمليات الذهنية.

بالنسبة لكافة أعضاء الجسم، يقوم الجهاز اللمفاوي بمهمة رفع هذه المُخلفَّات الحيوية. وبالتالي تمتد هذه الشبكة الضخمة من الأوعية اللمفاوية جنبًا إلى جنب -وفي توافق تام- مع شبكة الأوعية الدموية، وتعملان معًا على تنظيم توازن السوائل في الجسم، والتخلص من المنتجات الثانوية ومخلفات عمليات الأيض الحيوية.

تنتشر هذه الشبكة المزدوجة على امتداد مساحة الجسم البشري، وتتفرع على نحو متوازٍ، وتسير فروع الشبكتين معًا بتنسيق ثنائي مدهش. ولكن المحيِّر، أن هذا الثنائي البارع، ينفصل فجأة عندما يصل إلى حدود الدماغ! حيث تفقد الشبكة المزدوجة توافقيتها، وفجأة تخبو السيمفونية النابضة بالحيوية، وتتقدم الشبكة الدموية وحدها لتدخل إلى الدماغ.

إن الدماغ، يستهلك وحده ربع طاقة الجسم، ويفرز سنويًّا ما يُعادل وزنه كاملاً من النفايات، هو العضو الوحيد الذي لا يوجد به أوعية لمفاوية (أنابيب الصرف). ورغم ذلك ينجح في التخلص من ٨ جرامات تقريبًا من المخلفات يوميًّا.

والجدير بالذكر أن الدماغ الذي يدير أعضاء الجسم كله، ويستهلك وحده ربع طاقة الجسم، ويفرز سنويًّا ما يُعادل وزنه كاملاً من النفايات، هو العضو الوحيد الذي لا يوجد به أوعية لمفاوية. وبالرغم من أن أكبر عمليات الاستقلاب تحدث داخل الدماغ، إلا أن خدمة التنظيف والتصريف التي يقوم بها الجهاز اللمفاوي لا تصل إليه.

أين تذهب مخلفات الدماغ؟

تم افتراض وجود أوعية لمفاوية في الدماغ لأول مرة في عام ١٨١٦م، ولكنها لم تُر بالفعل حتى عام ٢٠١٥م، بعد أن تطورت تقنيات التصوير، بما سمح لمجموعة من الباحثين بالتعمق داخل الدماغ لفهم آلية تخلصه من مخلفاته، وذلك من خلال تخدير فأر تجارب، ثم حقنه بصبغة تمييز الأوعية الدموية باللون الأحمر والسائل الشوكي باللون الأخضر، وبذلك تتميز بوضوح عملية تنقل هذه السوائل من وإلى الدماغ. وما اكتشفوه كان مذهلاً لفريق البحث؛ حيث أظهر التصوير الدماغي للفأر، حركة السائل الشوكي وهو يغمر الدماغ، من خلال خواص تشريحية متخصصة، يسمح CSF بالنفاذية بشكل سريع وعميق جدًّا داخل الدماغ، حيث يتغلغل السائل من سطح الدماغ إلى العمق، وأثناء اندفاعه للأسفل وتغلغله داخل أنسجة الدماغ، لاحظ الباحثون أنه يختلط مع السوائل البينيّة/الخلالية (Interstitial Fluid)، المتجمعة في الفراغات بين الخلايا (Interstitial Spaces).

تعمل هذه المنطقة كمحطة تبادلية (Exchange) يتم فيها تبادل العناصر الغذائية للخلايا بالمخلفات. بعد ذلك، يخرج السائل المُحمّل بالمخلفات إلى مجرى الدم عبر الأوردة، ليتدفق معه إلى خارج الدماغ. وما كان مثيرًا للانتباه، أن هذا السائل المُحمّل بالمخلفات، لم يكن يتدفق بشكل عشوائي أثناء خروجه من عمق الدماغ إلى

hiragate.com

السطح، بل بدا أنه يتحرك عبر مسارات مرورية دقيقة ومحددة، وكأن هناك قنوات تنظم وتسهل تدفقه.

تم التأكد من ذلك بعد أن قام الباحثون بفحص أنسجة السحايا الدماغية للفأر، بتقنية جديدة غير معتادة؛ حيث قاموا باستخلاص خلايا السحايا كاملة دون تقطيعها لشرائح صغيرة كما جرت العادة، ومن ثم قاموا بفردها على شريحة واحدة وفحصها تحت المجهر. هنا ظهرت تلك القنوات الصغيرة على امتداد الشريحة بالكامل بوضوح، مُشكِّلةً جهازًا أنبوبيًّا يسير بمحاذاة السطح الخارجي للأوعية الدموية الدماغية. وقد تبين أنها أوعية لمفاوية سحائية بالفعل، فهي تمتلك كل الصفات الجزيئية للخلايا اللمفاوية المبطنة.

وهكذا تأكد -وللمرة الأولى- وجود أنابيب تشريحية متخصصة لتصريف نفايات الدماغ، لم يعتقد علماء التشريح بوجودها من قبل. وبذلك ثبت وجود اتصال فعلي بين الدماغ والجهاز اللمفاوي عن طريق هذه الشبكة من الأوعية، وهو الأمر الذي عدّه الباحثون في السابق مستحيلاً، وحتى وقت قريب، لم يكن هناك أي دليل على أن النظام اللمفاوي يمتد إلى الدماغ.

كانت الفرضية أن منع تواجد الأوعية اللمفاوية داخل الدماغ يأتي ضمن منظومة الحفاظ على أنسجة الدماغ فائقة الحساسية، فدخول السائل اللمفاوي المُحمّل بالمواد الكيميائية الغريبة إلى دماغك، وتدفقه بين خلاياه الدماغية بشكل عشوائي، هو أمر خطير يشبه سكب كوب من القهوة على لوحة مفاتيح جهاز الكمبيوتر الخاص بك.

الجهاز اللمفاوي قبل وبعد الاكتشاف

وباستخدام صبغة مغناطيسية مع تقنية التصوير بالرنين المغناطيسي عالي الدقة (MRI)، قام فريق من الباحثين في "معاهد الصحة الوطنية" الأمريكية، بمسح أدمغة خمسة متطوعين أصحاء بعد حقنهم بصبغة مغناطيسية مصممة لإظهار الأوعية، مع تعتيم إشارات الأوعية الدموية أثناء مسح الدماغ، وبذلك نجحوا حرفيًّا في رؤية أدمغة المتطوعين وهي تقذف النفايات داخل أوعية الجهاز اللمفاوي في الدماغ.

كشَفوا لأول مرة، عن وجود شبكة من الأوعية اللمفاوية (أنابيب الصرف) في أدمغة البشر. وعند تشريح الدماغ البشري، تأكد وجود هذه الأنابيب الصغيرة جدًّا، وأنها تشريحيًّا تشبه إلى حد كبير تلك الموجودة في الجهاز اللمفاوي الطرفي، إلا أن هذه الشبكة تمتلك بعض الصفات الفريدة. أمّا الذي يجعل الأوعية اللمفاوية الدماغية فريدة؛ أنها أقل تعقيدًا من الأوعية اللمفاوية الطرفية، وتتكون من أوعية أضيق، وهي قريبة جدًّا من الأوعية الدموية مما جعلها غير مرئية سابقًا.

ورأى فريق البحث أن التصاق هذه الشبكة بالأوعية الدموية، هو السبب وراء عدم ملاحظتها من قبل. وعلّلوا ذلك بقولهم إنها ببساطة كانت "مختبئة جيدًا" داخل طبقات الأغشية التي تغطي الدماغ (السحايا). وهكذا أُعيد اكتشاف الأوعية اللمفاوية المختبئة داخل السحايا الدماغية، وظهر للمرة الأولى أن تصوّرنا عن خلو الدماغ من أوعية لمفاوية غير صحيح بتاتًا.

الجهاز الجليمفاوي وطريقة عمله

أطلق العلماء على الجهاز الجديد المكتشف اسم "الجهاز الجليمفاوي" (The Glymphatic System) أو "الدبقي اللمفاوي"، وهو اسم مزيج بين كلمتين بالإنجليزية، هما "Glia" حيث ترمز "G" في "Glymphatic" إلى الخلايا الدبقية أو الصمغية (Glial Cells) التي تدير هذا الجهاز، و"Lymphatic" لأنه يقوم بوظيفة الجهاز اللمفاوي تمامًا، إلا أن خلية من الخلايا الدبقية الدماغية هي التي تنظم عمله، تُعرف باسم "الخلايا النجمية" (Astrocytes)، لأنها تأخذ شكل نجمة ذات أذرع وامتدادات طويلة نسبيًا.

تتمدد الخلايا النجمية لتحيط بالأوعية الدموية مكوّنة ممرات فراغية تحيط بكل وعاء دموي، وهذه الفراغات المحيطة هي التي تجعل الوعاء الدموي يظهر في المقطع العرضي يشبه كعكة مثقوبة عند مركزها. يمكن القول إن الأوعية الدموية الدماغية عبارة عن أنابيب حول أنابيب، لأنها محاطة بمساحة من الفراغ. ويقع هذا الفراغ بين جدارين: جدار السطح الخارجي لخلايا الأوعية الدموية، وجدار آخر يتكون من امتدادات متفرعة للخلايا العصبية، وهو خاص بالدماغ والنخاع الشوكي فقط.

تحتوي الأنابيب الخارجية على مسام صغيرة تتسرب من خلالها المواد المغذية من الدم إلى قنوات مليئة بالخلايا العصبية. وهناك مسام مماثلة لخروج السائل المحمل بالنفايات من الأنبوبة، مما يجعل عمليتي تغذية وتنظيف المخ تحدثان في نفس الوقت.

hiragate.com

نظام تنظيف حصري للدماغ

المدهش أنه لا يوجد عضو آخر في الجسم ينتهج هذا النهج بالضبط، لإزالة المخلفات من بين خلاياه. إنه حلٌّ خاص بالدماغ حصريًّا. لو تأملنا قليلاً لوجدنا تجلّيًا لأوجه العظمة والإعجاز والحكمة البالغة في خلق الجهاز الجليمفاوي الأنبوبي المكتشف حديثًا، والذي يمثل شبكة الصرف الخفية للتخلص من "القمامة الأيضية" داخل أدمغتنا:

١– الاستغلال الأمثل للمساحات الضيقة: يتواجد الدماغ داخل مساحة ضيقة ومغلقة، فهو مطوّق بجمجمة صلبة، ومكدّس بالخلايا، ومحشور بالكامل داخل الحيز المحدود الذي يشغله، وليس هناك مساحة إضافية بداخله تسمح بوجود المزيد من الأوعية، فضلاً عن شبكة مستقلة من الأوعية اللمفاوية.

لذا، فإن توظيف السطح الخارجي للأوعية الدموية بهذه الطريقة يُعدُّ حلاًّ مثاليًّا؛ لأنه على الرغم من عدم وجود مساحة إضافية، أصبح بوسع الأوعية الدموية أن تمتد من سطح الدماغ إلى أعماقه، حتى تصل إلى كل خلية داخله. وبهذه الطريقة، يستطيع السائل الذي ينتقل بمحاذاة السطح الخارجي لتلك الأوعية، الوصول بسهولة إلى جميع أجزاء الدماغ، والتصاق أنابيب الجهاز الجليمفاوي بالأوعية الدموية، مكّن هذا السائل من الوصول إلى كل تلافيف الدماغ بسهولة.

إنها بالفعل طريقة مثالية لإعادة توظيف شبكة الأوعية الدموية للقيام بمهام شبكة أوعية ثانية هي الأوعية اللمفاوية، ما يجعل الدماغ ليس بحاجة إليها. تمامًا كما نستخدم المائدة كسُفرة لتناول الطعام ومكتب للدراسة في الوقت ذاته، بسبب ضيق المساحة في المنزل.

٢– عملية تنظيف سريعة ومتواصلة على مدار الوقت: يعمل الدماغ البشري مثل مفاعل نووي معقّد جدًّا، حيث يقوم بملايين التفاعلات الحيوية باستمرار، ويُنتج كميات هائلة من النفايات في كل ثانية.

يتيح الجهاز الجليمفاوي للدماغ أن ينظّف نفسه بطريقة أكثر تنظيمًا، وبشكل أسرع وعلى نطاق أوسع مما كان يُعرف من قبل. فمن خلال عملية غمر الدماغ بالسائل المنظف، يعتمد نظام تنظيف الدماغ بشكل أساسي على تدفق هذا السائل عبر أنسجته. لكن، وفقًا للنظام الأنبوبي، نجد أن الجمجمة تشبه المضخة الهيدروليكية، إذا فُتحت توقفت عن العمل. وهذا النظام بهذه الآلية، غير موجود سوى في الدماغ، كما أن نظام الضخ أسرع من نظام التدفق، حيث يعتمد التدفق بدوره على الضغط الموجود طوال الوقت. وهكذا، تستمر عملية التنظيف بإيقاع منتظم، ففي كل دقيقة يتم التخلص من كميات كبيرة من البروتينات التي يمكن أن تضرّ بالخلايا العصبية.

٣– وظيفتان لجهاز واحد: إلى جانب تعزيز إزالة البروتينات والنفايات البينية المذابة من الدماغ، يسهم الجهاز الجليمفاوي في نقل العناصر الغذائية وجزيئات الإشارة إلى الخلايا العصبية، كما يؤدي دورًا هامًّا في تغذيتها والحفاظ على توازن البيئة الداخلية للدماغ، مما يجعله جهازًا أكفأ من الجهاز اللمفاوي التقليدي.

يمكننا أنْ نتخيل أنَّ الدماغ محاط بحوض سباحة كبير مملوء بسائل نظيف ونقي للغاية، وهو السائل الدماغي الشوكي (CSF) الذي يملأ جميع التجاويف داخل الدماغ ويحيط به بالكامل. وبخلاف ما لو كان يجري داخل الأوعية، فإن هذا السائل يتمتع بحرية غمر أنسجة الدماغ بالكامل، والوصول إلى كل خلية داخله، ليغذيها من ناحية، ويجمع نفاياتها المحملة بالسائل البيني من ناحية أخرى، ويخلصها منها عن طريق الترشيح عبر جدران الأوعية الدموية الدماغية. وبعد أن تجد المخلفات الذائبة طريقها من الأنسجة العميقة للدماغ إلى هذا الحوض، تقوم جدران الأوعية الدموية بالتقاطها وإلقائها في مجرى الدم.

هذه الطريقة تشبه إلى حد كبير عمل الجهاز اللمفاوي، أليس كذلك؟ ولكن هنا، تولّت الأوعية الدموية مهمة الأوعية اللمفاوية، مما جعل الدماغ في غنى عن وجودها. ■

(*) طبيبة متخصصة في علم الميكروبيولوجيا الطبية والمناعة/ مصر.

المراجع

(1) Iliff, Jeffrey J., et al. "A paravascular pathway facilitates CSF flow through the brain parenchyma and the clearance of interstitial solutes, including amyloid β." Science Translational Medicine 4.147 (2012).

(2) Lee, Hedok, et al. "The Effect of Body Posture on Brain Glymphatic Transport." The Journal of Neuroscience 35.31 (2015): 11034-11044.

(3) Welberg, Leonie. "Sleep: not such a waste." Nature Reviews Neuroscience 14.12 (2013): 816-817.

hiragate.com

العيد السعيد

١

حينما تُقبل الأيام على بلدي، يكون ذلك اليوم عيدنا.

العيد يوم فرح وسرور، ولا سيما للذين يدركون معناه، ويبدو الناس في الأعياد وهم سعداء ومطمئنون، لكونهم أصبحوا مظهرًا للعفو الإلهي، وتخلصوا من تبعات أخطائهم وذنوبهم، ولكونهم يعيشون الماضي والمستقبل معًا بشكل متداخل.

كل عيد يبث في الأرواح اطمئنانًا، وتتداعى سلسلة من ذكريات البشر والسرور على سيماء الوطن، ليصل إلى الكمال. والسعادة التي تنبعث من تداعي هذه الذكريات في القلوب في الأعياد قد تفوق بألوانها وعمقها بشر هذه الأيام وسرورها وزينتها.

في مثل هذه الأيام نضع الماضي والمستقبل معًا في خيالنا، نقبّل أيدي آبائنا وأجدادنا العظام، والوجوه النيرة الحلوة لأحفادنا؛ فنشعر في قلوبنا بسعادة لا توصف للماضي وللمستقبل. ومع أن أصحاب الأنفس المتشائمة والقلوب السوداوية لا يفهمون معنى هذا، فإن جميع ألوان غبطة الماضي المجيد، وكل الآمال العريضة للمستقبل، تشكل بكل ألوان الطيف إكليلاً فوق رؤوسنا ونحن نعيش احتفالات هذه الأيام.

أجل، فأي سعادة يمكن أن تضاهي سعادة تأمل لوحة الماضي بكل عظمته، مع المنظر الأخاذ للمستقبل في إطار واحد؟!

إن روح الإنسان -من ناحية المشاعر والفكر- يستطيع الإحساس بنشوة الأذواق القلبية العائدة للماضي وللمستقبل، ويعيشها مثلما يعيش لحظات أذواقه الحالية، فيتجاوز الزمن ويدرك العيد ويحس به كأنه طار بأجنحة إلى أبعاد أخرى. ويختلف العيد المُدْرَك بهذا المعنى تمامًا عن بيانات التهنئة والمعايدات الروتينية المذاعة في هذه الأعياد. فالعيد عند أصحاب هذه المعايدات يومٌ

باهت بعيد عن الحياة ومعزول ومنبتّ عن الماضي وعن المستقبل، وكأنه مجرد يوم توزع فيه الحلويات على الصغار.

يأتيني كل عيد بزينة المستقبل الملونة بأنواع الألوان، ويعكس في قلبي -قبل رحيله- أحلى لوحات الماضي وأروعها. فكم تملؤني النشوة عندما أشاهد بعين الخيال الأجيال السعيدة القادمة، التي وصلت إلى مرتبة العرفان من الناحية المادية والمعنوية، ورهفت مشاعرها، وتوحدت مع أرواحها، وتعانقت بعضها مع البعض الآخر. أتخيل جيلاً ملأ العلمُ عقلَه، وملأ الإيمانُ بالخالق العظيم وحبُّه قلبَه، وامتلأ بحب الوجود، ووصل إلى ساحل الاطمئنان. هذه المشاعر التي تسكبها هذه الخواطر في قلبي أحسها في أعماق وجداني، فأعيش دقائق لا مثيل لها. وفي ذلك الإقليم والجو الخيالي أرى الكهول وقد ارتقوا إلى مستوى الإنسانية الحقة، والشباب وقد ألجموا أهواءهم، ووجوه الصغار -الشبيهة بزهرة الشمس- وكأنها تنورت بسنا ألوان وأنوار منهمرة عليهم من فوق، والنساء اللائي هيأن كل هذا الجو الساحر. أتخيل هذا فأحس بالسعادة وهي تسري في كل مفصل من مفاصلي، وفي كل عرق من عروقي.

في ذلك الجو أتخيل إدارة الدولة وكأنها مودَعة في أيدي أحكم الأشخاص وأكفئهم، الذين يتناولون كل شيء بدقة وبحساسية مَن يقوم بالتطريز.. إدارة ترى فيها الرعايا والرعاة المرشدين العارفين في صف واحد في تلاؤم وتناغم.. هذا هو ما أتخيله لسيناريو المستقبل، وقد تفتحت ورود العدالة في كل مكان. أما الظلم فضعيف هزيل لا حول له ولا قوة، لا ترى لظالم صولة أو جولة، ولا تسمع أنينًا لمظلوم.

تمر المدارس في خيالي في العيد وقد أصبحت مختبرات لحل أسرار الكون وطلاسمه، حيث أرى هناك أساتذة عمالقة يهيئون طلابهم لفكّ أسرار ما وراء السموات.. أساتذة ترى الوضاءة في وجوههم، والإخلاص في قلوبهم، والاستقامة في تفكيرهم.

في الأعياد أتخيل كأني أسمع طبول الغزو في الثغور، وتطرق سمعي أصواتُ جيوش الفتح وأصوات مدافعها.. تلك الجيوش التي تصدت للأخطار لتأسيس توازن بين الدول، وضحّت بأسباب الراحة والدعة وكل مباهج الحياة.

يتفتح في قلبي في كل عيد جميع ألوان الأناشيد والتكبير. وفي كل عيد ينتشي روحي بإلهاماته وبالذكريات التي يحييها في قلبي، فأحس وكأنني قد تطهرت وتجددت تمامًا، حتى أتمنى لو أن كل الأيام كانت أعيادًا.

قد يبدو هذا للبعض ضربًا من الخيال، بينما يرى فيه البعض الآخر مُثُلاً سامية سبق وأن كانت لها آلاف الأمثلة، وتفسيرًا موجزًا لحقيقة أزلية خالدة ظهرت بوادرها في أفقنا منذ زمن. ■

(*) نشر هذا المقال في مجلة "سيزنتي" التركية، العدد:٤٣ (أغسطس ١٩٨٢)، تحت عنوان "Bayram". الترجمة عن التركية: أورخان محمد علي.

جينيفر بيكر*

الذكاء الاصطناعي والكتابة

هل انتهى دور الإنسان؟

شهد الأدب المعتمِد على الذكاء الاصطناعي تطورًا كبيرًا في عصرنا الراهين، فتح الأبواب أمام طيف واسع من النماذج الإبداعية الجاهزة، التي تنوعت ما بين قصص الأطفال، وروايات الخيال العلمي، والسير الذاتية، وصولاً إلى الروايات الاجتماعية والرومانسية. وقد أثار هذا التطور السريع تساؤلات كثيرة؛ إذا أصبح من الممكن اليوم إنتاج مؤلفات كاملة، بل وأعمال أدبية ضخمة، من خلال تلقين ذكي ودقيق لهذه الأنظمة. إذن، كيف سننظر إلى الكتاب في المستقبل؟ وما هو شكل العلاقة الجديدة بين القارئ والنص؟ وماذا سيعني الأدب في زمن

تُكتب فيه القصص بواسطة آلات؟ أو كيف سيؤثر "شات جي بي تي" (ChatGPT) على تعريفنا لمفهوم الأدب ذاته؟

رغم القدرات التي أظهرها ChatGPT، إلا أنه لا يمتلك وعيًا عامًّا أو معرفة مجسدة كالتي يمتلكها الإنسان، بل يعمل عبر منظومة برمجية محددة تقوم بتحليل الأنماط اللغوية واستنساخها ببراعة، لإنتاج محتوى يبدو مبتكرًا.

وفي رواية "سيدة المتاهات" للكاتب "كارل شرودر"، الصادرة عام ٢٠٠٥م، والتي تنتمي لأدب الخيال العلمي، نجد تصورًا استباقيًّا لقدرات الذكاء الاصطناعي على إنتاج ونشر ملايين القصص حول العالم. كما أن هذا التدفق الهائل من الأعمال الأدبية المصقولة والاحترافية، يفوق قدرة أي فرد على قراءته في عمرٍ واحد؛ إذ يقدم محتوى غنيًّا يواكب الأذواق المختلفة للقراء. ومع إطلاق "شات جي بي تي" في أواخر عام ٢٠٢٢م، لم يعد هذا السيناريو محض خيال، بل تحول إلى واقع ملموس؛ حيث أصبح للذكاء الاصطناعي دور حقيقي ومؤثر في صناعة المحتوى الأدبي.

ولا شك أن هذا التحول الكبير، جاء مدفوعًا بانتشار واسع للنماذج اللغوية المعتمدة على التلقين، ما أدى إلى زيادة ملحوظة في إنتاج المحتوى المكتوب بواسطة الآلات. وبالتالي لم تعد هذه التقنية حكرًا على نوع معين من الأدب، بل امتدت إلى مختلف التصنيفات، بدءًا من الكتب الأكاديمية، مرورًا بأدب الخيال والجريمة، وصولاً إلى كتب الأطفال واليافعين.

والجدير بالذكر أنّ من أبرز القطاعات التي تأثرت بهذا التغير الكبير، هو قطاع النشر الذاتي الذي بات يشكل ساحة تنافس جديدة في عالم النشر. ومع استمرار الانكماش في أعداد القرّاء منذ سنوات، زادت التحديات التي تواجه الناشرين والمؤلفين على حد سواء، خاصة مع التدخل القوي للذكاء الاصطناعي في عمليات الإنتاج الأدبي.

وعليه، لم تعد المنافسة محصورة بين دور النشر التقليدية، بل ظهرت أشكال جديدة من "الوساطة الأدبية" ومنصات النشر الرقمي، التي قلبت معادلات السوق، وقدّمت حلولاً مرنة ومغرية للكتّاب المستقلين، الأمر الذي غير جذريًّا خريطة الأدب توزيعًا وترويجًا على مستوى العالم.

في زمن تهيمن فيه منصات -مثل أمازون وغودريدز (Goodreads)- على حركة النشر والتقييم، أصبح القارئ جزءًا فعّالاً في تشكيل مستقبل الأدب؛ إذ أصبح المتلقي لا يكتفي بالقراءة فقط، بل يعلّق ويقيّم، مما يفرض على الأعمال الأدبية الجديدة أن تُصمم -منذ بدايتها- لتلائم هذه البيئة الرقمية التفاعلية، وتكسب رضا المستخدمين. ويمكننا القول إن الخوارزميات تحوّلت إلى أداة محورية في توجيه الاهتمام وتحديد الأعمال الرائجة، بينما تتكفّل تقنيات الذكاء الاصطناعي بتحليل تلك البيانات وتقديم توصيات دقيقة. وهكذا، بات التحليل الرقمي أحد الأعمدة الأساسية في صناعة النشر الحديثة.

وفي موازاة هذا الواقع، يبرز الذكاء الاصطناعي كأداة مبتكرة لإنتاج محتوى إبداعي بطريقة تلقائية تُحاكي الأسلوب البشري. كما أن هذا التقدم لم يُحدث تغييرًا في طبيعة التأليف فقط، بل نقل الكتابة الإبداعية إلى قلب العصر الرقمي، وقد تجلّى هذا التوجّه في إدماج الذكاء الاصطناعي في برامج تحرير النصوص، التي بدأت تؤدي دورًا متزايدًا في توليد النصوص وتحسين جودتها، رغم محدودية إمكانياتها الحالية.

وعليه، إن الاعتماد على أدوات مثل "شات جي بي تي" كمساعد أساسي في الكتابة، لا يزال موضع جدل عالمي واسع؛ فقد ناقشت صحف ومجلات كبرى هذه الظاهرة، بينما أبدى كثير من الكتّاب

استعدادهم للاستفادة منها في عملياتهم الإبداعية الخاصة، مثل الكاتبة اليابانية "ري كودان" مؤلفة رواية "طوكيو"، التي حصلت على جائزة "أكوتاغاوا" اليابانية للكتَّاب الشباب عام ٢٠٢٣م، والتي استخدمت الذكاء الاصطناعي في كتابتها لهذا العمل الذي نال تقديرًا كبيرًا، وإشادة جماهيرية ونقدية.

ومع كل هذه الإنجازات التي أحدثها الذكاء الاصطناعي في هذا المجال الإبداعي، يبقى سؤال جوهري معلقًا: هل ما تنتجه هذه النماذج الآلية تُضاهي فعلاً ما يبدعه الإنسان؟ وهل يمكننا أن نثق بتلك النماذج غير الإنسانية؟ وإذا كانت الخوارزميات قادرة على إنتاج نصوص رفيعة المستوى، فما الذي يتبقى -إذن- من جوهر الأدب الإنساني، ومن فرادة العلوم الإنسانية؟

السرد القصصي المرتقب

يُعد فك غموض النماذج اللغوية الجاهزة، من أكبر التحديات التي تواجه مطوري أنظمة الذكاء الاصطناعي في مجال الكتابة الإبداعية؛ لأن فهم هذه النماذج لا يقتصر على استخدامها، بل يتطلب الكشف عن أوجه القصور الكامنة في بنيتها، وذلك من أجل فهم أعمق لخلفياتها التقنية ووظائفها التشغيلية. وهذه النماذج لم تُبْنَ من فراغ، بل جاءت نتيجة تجميع ومعالجة كميات هائلة من البيانات، واعتمدت على هندسة تلقين فوري دقيقة، ينفذها المستخدمون لتوجيه الأنظمة نحو إنتاج نصوص جديدة.

وبالرغم من القدرات المبهرة التي أظهرها "شات جي بي تي"، إلا أنه لا يمتلك -حتى اللحظة- وعيًا عامًّا أو معرفة مجسدة كالتي يمتلكها الإنسان، بل يعمل عبر منظومة برمجية محددة تقوم بتحليل الأنماط اللغوية واستنساخها ببراعة، لإنتاج محتوى يبدو مبتكرًا. ومع أن هذه النماذج باتت تقدم دعمًا ملموسًا في تحسين جودة النصوص، أو في المساهمة التدريجية في تأليف القصص والروايات، إلا أن استخدامها ما زال يثير تساؤلات قانونية، لا سيما فيما يخص حقوق الملكية الفكرية. ومن ثم ظهرت خلال الأعوام الماضية عدة دعاوى قضائية ضد شركات الذكاء الاصطناعي، من أبرزها تلك التي رفعتها صحيفة "نيويورك تايمز" ضد شركة "OpenAI" عام ٢٠٢٣م، في إطار دفاعها عن حقوق محتواها الصحفي.

وعلى الرغم من هذه العقبات، فإن السنوات القليلة الماضية شهدت تطورًا ملحوظًا في قدرات هذه النماذج الذكية، خاصة فيما يتعلق بإنتاج سرد قصصي متكامل، وتوسيع إمكانيات الخطاب الأدبي الآلي. في السابق، لم يكن بالإمكان أن يُنتج "شات جي بي تي" قصة متماسكة من البداية إلى النهاية، لكن بفضل التحسينات التي أُدخلت على هندسة التلقين وأساليب إدخال البيانات، بات يستطيع توليد نصوص قصصية متكاملة البناء، بل وتقديم مشاهد تفصيلية بناءً على التوجيهات الفردية التي يتلقاها.

ومع كل هذا التقدم، تبقى جودة ما يُنتَج، محلَّ جدل واسع. فقد تبين أن هذه النماذج تقدم أفضل نتائجها عندما يُمنح لها هامش أكبر من الاستقلالية، وعندما تكون تعليمات التلقين المقدمة مختصرة وواضحة. ففي مثل هذه الحالات، تكون النتائج أكثر تماسكًا واتساقًا، وهو ما يعزز من فاعلية الذكاء الاصطناعي كأداة في صناعة الأدب المعاصر. ■

(*) باحثة متخصصة في الكتابة عن الظواهر الرقمية والقضايا المعاصرة/ألمانيا. الترجمة عن الإنكليزية: أميرة الوصيف.

hiragate.com

د. علي الخطيب*

حين يُرضي الإنسان ربَّه

لا جدال في أن العمل المرضي طريقٌ آكد من طرُق الفوز، ووسيلةٌ راقية من وسائل النماء والقدرة، بل هو مفازةٌ يجتازها العبد إلى دار النعيم، وقبل ذلك كله فهو معادلةٌ طبيعية لترتقي النفس إلى أعلى مقامات الكمال. وكم هي عظيمة تلك اللحظات التي يشعر فيها المرء بثمرة الكدح ومشقة الكد، سواء أكان ذلك للدين أم للدنيا؛ لأن العمل المنضبط برسم الشريعة طريقٌ ممهَّد إلى مرضاة الله في الآخرة، وداعٍ إلى محبة النبي ﷺ متى توافر فيه القصد والنية.

نحن أمة عاملة يرى الله عملها ورسوله والمؤمنون، وإن الإسلام الذي يأمر بالعبادات والطاعات، يجعل العمل المثمر طاعةً وعبادة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾(الإسراء:٨٤). ومن هنا كان توجيه الوحي الأمين تسليةً وتسرية لرسول الله ﷺ أن يعمل وفق منهج الله الذي يسير عليه، وأنْ يترك الآخرين يعملون وفق ما يرغبون، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ۞ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾(هود:١٢١-١٢٢).

والنبوة هي التي تحدد أنواع الأعمال التي تُناط بها سعادة الإنسان في الدارين، وتطالبه بالوقوف عند الحدود التي حددها الله ﷻ. ولقد ظل نبينا عليه الصلاة والسلام طوال عمره يعمل للدنيا وللآخرة، يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج، ويتحرك بين الناس داعيًا إلى الدين الخالص منذرًا ومبشرًا، استجابةً لأمر الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنْذِرْ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾(المدثر:١-٣). وكان ﷺ يقف بين يدي ربه ليلاً حتى تتورَّم قدماه، استجابةً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً﴾(المزمل:١-٢)، مستغلاً فرصة السكون الذي يخيم على جبال مكة ووديانها.

وكان رسول الله ﷺ يحفر مع أصحابه الخندق، وهو يربط حجرين على بطنه الشريف من أثر الجوع والمخمصة، ويشاركهم العمل. وهو من قبل ذلك كان يرعى الغنم على قراريط لأهل مكة، ويخرج في تجارة إلى الشام مع عمه أبي طالب، ثم تاجرًا في مال خديجة ﵂، ثم يرجع إلى غار حراء متأملاً متحنثًا. ومن هذا الباب كان ﷺ جديرًا بالتوفيق والتسديد والنصرة، قالتها خديجة ﵂ بحدس الفطرة: "كلَّا، فوالله لا يُخْزيكَ الله أبدًا؛ إنك لَتصل الرَّحِمَ، وتَصْدُق الحديثَ، وتَحْمِل الكَلَّ، وتَقْرِي الضَّيفَ، وتُعين على نَوائب الحقِّ" (رواه البخاري).

العمل هو الحركة الواعية المدركة، التي يحدثها الإنسان فيصادف الزمان والمكان، لينتج الأثر المطلوب من المنحة والعطاء. ثم إن العمل المطلوب الذي يباركه الله تعالى ويحبه رسوله ﷺ، هو ذلك الذي يرتبط بأمر الآخرة ويدل عليها، ويشتد نحوها ويتعلق بها، ويتشوف إلى مرضاة الله، حتى ولو كان عملاً دنيويًّا خالصًا، شريطة أن يسمو فيه القصد والنية. وما سوى ذلك فلن يكون طريقًا للسعادة، ولا دافعًا إلى الترقي، حتى وإن شيَّد أصحابه القصور الشاهقة، وأحاطوها بالأسوار المنيعة، قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾(الحج:٤٥).

يرى العلماء أن "القصر المشيد" قصرٌ بناه شداد بن عاد بن إرم، لم يُبنَ في الأرض مثله، حتى إن أحدًا لا يستطيع أن يدنو منه على أميال، لما يُسمع فيه من عزيف الجن والأصوات المنكرة، بعد أن كان موطن النعيم والعيش الرغد وبهاء الملك وانتظام الأهل، فبادوا وما عادوا. وما من شك أن الجارحة التي تتعطل عن العمل تضمر ولا تقوى،ولا تشتد؛ لأن صاحبها قد رضي بالراحة، وآثر الدعة، وأنِس بالركون، فصارت كالبئر المعطلة التي لا ينتفع بها أحد.

وقد قسَّم الإمام النووي -رحمه الله- في شرحه للأربعين النووية، ما نقله عن ابن العربي المالكي، بأن الذهاب والضرب في الأرض يكون إما هربًا أو طلبًا. وقسَّم الذهاب في طلب الدين إلى تسعة أنواع، هي سفر العبرة، وسفر الحج، وسفر الجهاد، وسفر المعاش، وسفر التجارة والكسب الزائد عن القوت، وطلب العلم، وشدّ الرحال إلى المساجد الثلاثة الواردة في الحديث، وقصد الثغور للرباط والجهاد، وزيارة الإخوان في الله تعالى.

والذي يعنينا من هذا التقسيم، هو النوع الرابع والخامس (سفر المعاش، وسفر التجارة والكسب الزائد عن القوت).

وكانت العرب تقول: "من غلت دماغه صائفًا غلت قِدْره شاتيًا". ولهذا انطلق المسلمون الأولون في فجاج الأرض، ينشرون الدين، ويلتمسون الرزق، ويطلبون العلم، ويجاهدون في سبيل الله تعالى.

وقد سُئلت أم سلمة عن تفرّق أولادها في شرق الأرض وغربها، حتى مات هذا في جهة، وأخوه في جهة أخرى، فقالت الأم: "باعدت بينهم الهمم".

hiragate.com

وربما يتبادر إلى الذهن أن العمل المعني في ذلك كله، هو العمل اليدوي أو الحِرَفي المحض، لكن الأمر ليس كذلك، إذ إن لفظ "العمل" عام يشمل جميع أنواعه، فيكون العمل اليدوي والحِرَفي جنبًا إلى جنب مع العمل الذهني والفكري. وكم هي كثيرة تلك الثروات المهدرة، والطاقات المعطّلة، والمواهب المتروكة، والإبداعات الذابلة، والمعاني المضيّعة. وكم هي عديدة تلك اللمسات الرقيقة الحانية، التي قلّما يُلتفت إليها أو يُناط بها، وكثيرة تلك الومضات السارية إلى مكامن الوجدان، وهي قريبة لكنها لم تُدرك.

إن قضايا كثيرة في تاريخنا المعاصر وفكرنا، تحتاج إلى إعادة تقييم ونظر وتصنيف وتوظيف. وكثيرون أولئك الذين يتحركون في أماكنهم بلا طائل، ويستهلكون جهد الناس وعواطفهم باهتمامات مزيفة أو موهومة كما قال عبد العظيم عبد العزيز سبيع. والإنسان في الأرض ثروة بشرية لا تُضاهيها ثروة أخرى على الإطلاق، لما يكمن فيه من قدرة على الترقّي، والسير نحو الجد في الحياة عند خلوص الفكرة وترويض الفطرة. وإن انبساط النفس إلى الجمال فيه قوة للقلب، وجلاء للعقل، وراحة للبدن، وتخليص للروح من الأخلاط الرديئة.. ومن هنا وجب على الأمة الوارثة أن ترعى هؤلاء، فتحقق لهم كل ما يحتاجون إليه، لأنهم قوة خفية تدفع بكل نهضة وتقدّم، فتمسح الجراح، وتحمي الثغور، وتصنع جسورًا من المحبة الخالصة بين بني البشر.

ومن هذا المنطلق، فإن الدولة ليست سوى مجموعة من العمّال، كلٌّ في مجاله وعلى ثغرته، يتقلبون بين فروض العين وفروض الكفاية، فنجد منهم المعلمين، والأطباء، والصيادلة، والمهندسين، والعلماء، والأدباء، والشعراء، والصنّاع، والفنانين، وغيرهم من شرائح المجتمع المختلفة. وإن التقصير في سدّ هذه الثغور يُلحق ضررًا جسيمًا بالأمة، سواء في مجموعها أم في أفرادها. وفوق ذلك، فإن لِترك الأعمال والركون إلى القعود، بعض الآثار السلبية منها:

١- فقدان القيم الجمالية في النفس والآفاق؛ لأن النفس التي تعشق الفضائل وتتعلق بالجمال المبثوث في الكون، لا بد أن تعمل وتجتهد لإسعاد غيرها، أما العاطل عن العمل فهو إنسان مضطرب النفس، مشتت الروح، ضعيف الهمّة، قليل الحيلة.

٢- ضعف الملكات الفاعلة، والإرادات القادرة، وفتور الهمم، والانحياز إلى السلبية، والرغبة الشديدة في الانزواء والانطواء.

٣- فقدان الاستفادة من جميع معطيات الكون ومباهج الحياة، إذ إن الكون الذي أوجده الله تعالى على هذا النحو البديع الجميل، لا يصادم هوى الإنسان أو فطرته، بل يمضي معه في اتساق وانسجام ما لم يحجب المرء عن نفسه أسرار المعاني وآليات التألق نحو الرغبة الجادة في العمل البنّاء.

ثم إننا نجد في القرآن الكريم أنه ما من آية تتحدث عن الإيمان بالله تعالى، إلا وتربطه بالعمل الصالح، كما جاء في العديد من الآيات في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؛ لأن استخلاف الله تعالى للإنسان في هذه الحياة، إنما هو لتعمير الأرض وإسعاد أهلها، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(هود:٦١).

وكما اتفقنا على القاعدة التي وضعناها، فإنه ما من عمل يُؤدى للدنيا أو للآخرة، إلا وهو مرغوب ومطلوب طالما كان في إطار العمل الصالح، فإن تخلّف عنه الصلاح، أصبح غثاءً وهباءً، لا يُغني فيه مبنى أو معنى. ومن هنا يأتي النص القرآني ليقرع الآذان: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾(الأعراف:٥٦)، وكأن الأرض قد خلقها الله تعالى مهيأة للصلاح، ليكون الفساد طارئًا عليها وغريبًا عنها.

فلا عجب أن تكون وراثة هذه الأرض لعباد الله الصالحين الذين أقاموا سنن الله فيها. ومن هذه السنن عمارتها، والسعي في مناكبها، والأكل من رزق الله

إن العمل المطلوب الذي يباركه الله تعالى ويحبه رسوله ﷺ، هو الذي يرتبط بأمر الآخرة، ويشتد نحوها، ويتعلق بها، ويتشوف إلى مرضاة الله تعالى حتى ولو كان عملاً دنيويًّا، شريطة أن يسمو فيه القصد والنية.

hiragate.com

الواسع، بعد أن استقاموا على الطريقة، فأورثهم الله تعالى بعد فقر، وألبسهم بعد عُرْي، وأطعمهم بعد جوع، وأعزهم بعد ذلّ، وآمنهم من خوف، فبارك سعيهم، وأنار طريقهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(الأعراف:١٢٨)، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(الأنبياء:١٠٥).

ولقد كان العمل الذي قام به ذو القرنين -وهو عمل دنيوي خالص- لا يتجاوز إنشاء سد عمراني هندسي بطرق علمية، ليمنع -بإذن الله- أذى يأجوج ومأجوج. لقد كان عملاً خيريًّا عظيمًا يدخل في دائرة النفع اللازم للبشرية، مصحوبًا بالإيمان بالله تعالى، فتراه بعد الأخذ بالأسباب وإعداد المواد الخام اللازمة لإقامة هذا السد، يقول: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾(الكهف:٩٦).

لقد أراد أن يجعلهم يشاركون معه؛ ليتعلموا قيمة العمل، وليكونوا جزءًا من دفع الأخطار المحدقة بهم، فإذا به يستثمر قدراتهم البدنية وتفوقهم العضلي، فيقول: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾، فأخذوا يجمعون قطع الحديد وقطع النحاس التي أذابها بالنار، وهو في نهاية الأمر يُسَلِّم الأمر لله تعالى قائلاً: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾(الكهف:٩٨). وهكذا يربط عمل الدنيا بقضية الآخرة، حتى لا يذهب السعي هباءً وسدى.

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "ما مِن مسلمٍ يَغْرس غَرْسًا، أو يَزْرع زَرْعًا، فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ، إلا كان له به صدقةٌ" (رواه البخاري). فهذا الحديث يدل على أهمية العمل الدنيوي، وعمارة الأرض من زرع وغرس، لما في ذلك من إقامة أَوَد الإنسان والحيوان على السواء، ليصير هذا الغرس كالصدقة يتصدق بها صاحبها، فيؤجر عليها ويثاب رغم أنفه.

وروى البخاري في صحيحه قول النبي ﷺ: "يا أيها الناس، خذوا من الأعمال ما تُطيقون؛ فإن الله لا يَملُّ حتى تَملُّوا، وإن أحبَّ الأعمال إلى الله ما دام وإنْ قَلَّ". ويفيد هذا الحديث عمل الآخرة، فهو يعني الاقتصاد في العبادة والطاعة، ويركّز على الكيف لا الكم، فليست كثرة الأعمال هي المعيار، وإنما الأهم هو درجة الإتقان والإحسان فيها، والمداومة خير من الكثرة مع الانقطاع.

ولما كان العمل -بشقيه الدنيوي والأخروي- على هذا القدر من الأهمية، صار عمل الإنسان في الدنيا يدور دورة الزمان والمكان، وهو لا ينقطع ألبتة لما فيه من الحركة، والحركة بركة -كما يقولون- لأنها تعني الحياة، أما السكون فهو مرادف للموت، وفي الموت انقضاء الأعمار وفناء الأجساد.

ولما كانت حركة الأفلاك لا تتوقف، ولا يقدر أحد من الخلق على إيقافها أو تأجيلها، صار لزامًا على من كلفهم الله بالرسالة، أن يكونوا أول العاملين الكادحين، كما قيل: "إن الميدان الذي أُعد للسباق الطويل، السباق الذي لا يتقدم فيه إلا مَن يعرف ربه، ويذكر حقه، ويشكر نِعَمه هو ميدان يتطلب تواصل الدأب والنصب لإحراز الراحة الكبرى"، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾(الانشقاق:٦).

حتى الجن، فإنهم مارسوا العمل مع سليمان عليه السلام كما قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾(سبأ:١٣)، وقال النبي ﷺ: "اعملوا فكُلٌّ ميَسَّرٌ لما خُلِق له" (رواه البخاري).

لهذا كله، أوصى رسول الله ﷺ أتباعه بقوله: "إنْ قامت الساعة وفي يد أحدِكم فَسيلةٌ، فإنْ استطاع أن لا يقومَ حتى يغرسَها فلْيغرِسْها" (رواه البخاري).

ففي هذا الحديث الشريف، يعلّم النبي ﷺ أمته الهمة والنشاط، وحب السعي، والغرس، والبذر، والعمل حتى آخر لحظة من الزمن، حتى لو كان عمر الدنيا قد انتهى وذهب. وعليه، لا بد أن يكون العمل مستمرًّا، وأي عمل؟! إنه غرس فسيلة "نخلة"، ومعلوم أن النخل يحتاج إلى زمن طويل حتى يؤتي ثماره وينتفع به الناس. وإن دلّ ذلك على شيء، فإنما يدل على قيمة العاملين، وحسن ثوابهم في الدنيا والآخرة. ■

(*) دكتوراه في الشريعة الإسلامية، جامعة طنطا / مصر.

hiragate.com

محمد أبو المفضل*

الرسالة الإنسانية عند فتح الله كولن
بين الروحانية والواقعية

يعد البعد الإنساني من الركائز الأساسية التي تقوم عليها حركة "الخدمة"، إذ فلسفتها تعتمد على الفكرة القائلة بأن "خدمة الآخرين" والتضامن مع الإنسان -بغض النظر عن خلفياته العرقية أو الدينية- من أعلى القيم التي يمكن للمرء تحقيقها. ويرى الأستاذ "فتح الله كولن" (الرائد الفكري لحركة الخدمة) أن الأعمال الإنسانية هي السبيل للارتقاء بالروح وتحقيق القرب من الله تعالى، مما يجعل العمل الخيري في حركة الخدمة ليس مجرد نشاط اجتماعي فحسب، بل عبادة وفعل تضامني يعزز من وحدة البشرية.

تجسد مشاريع "الخدمة" في التعليم والإغاثة والرعاية الصحية التزامها العميق بالبعد الإنساني، حيث لا تقتصر على تقديم العون فقط، بل تهدف إلى إحداث تغيير حقيقي ومستدام في حياة الأفراد والمجتمعات. وتُعتبر هذه الأنشطة الإنسانية أسلوبًا لتجسيد القيم الدينية بطريقة تعود بالنفع على جميع أفراد المجتمع، بغض النظر عن انتماءاتهم، مما يعزز رسالة التسامح والسلام بين الأمم.

الأسس الروحانية

يُعتبر الإيمان والتقوى من الأسس الروحانية المحورية التي توجه نشاطات "الخدمة"، حيث الإيمان بنظر الأستاذ "فتح الله كولن" ليس معتقدًا فرديًّا فحسب، بل قوة دافعة لتحسين حياة الآخرين وخدمة الإنسانية. كما يرى "كولن" أن الإيمان العميق بالله يولّد في الإنسان دافعًا للتقوى، ويعزز من مسؤوليته تجاه الآخرين، مما يجعله متحفزًا للعطاء والعمل النافع، باعتبارهما وسائل للتقرب إلى الله، ولتحقيق الغايات النبيلة في الحياة.

في فلسفة "كولن"، الإيمان ليس هدفًا بحد ذاته، بل وسيلة لتحقيق الخير والعدل في المجتمع. ويمثل هذا الإيمان القوة الدافعة التي تقود الأفراد إلى التفاني في خدمة الآخرين، مستمدين من تقواهم إحساسًا عميقًا بالمسؤولية الاجتماعية.

الإحسان والعطاء كقيم أساسية

يشكل الإحسان والعطاء جزءًا أساسيًّا من القيم التي تقوم عليها حركة "الخدمة"، حيث يُعتبر الإحسان قيمة جوهرية تدعو الإنسان إلى خدمة الآخرين دون انتظار مقابل؛ بهدف تحقيق الخير للآخرين بغض النظر عن اختلافاتهم. كما يرى "كولن" أن الإحسان والعطاء يمثلان تجسيدًا للروحانية الحقيقية، حيث يرتقي الإنسان من خلال العطاء إلى مستوى سام من القيم الإنسانية، ويقوي ارتباطه بالمجتمع والأفراد من حوله.

والإحسان في فكر "كولن" سبيل لتجسيد الرحمة والتعاطف، حيث يتجاوز العطاء المادي إلى العطاء الروحي والمعنوي، من خلال الدعم المعنوي والنفسي للآخرين، خاصةً للمحتاجين والمستضعفين. ويُظهر هذا المفهوم، التزام أبناء "الخدمة" بمساعدة الآخرين وتقديم يد العون لهم، ليس فقط كواجب ديني، بل كوسيلة لتعزيز التكافل الاجتماعي، وبناء مجتمع متماسك يقوم على التعاون والاحترام المتبادل.

الارتباط الروحي بالعالم

تعتمد "الخدمة" على مفهوم الارتباط الروحي بالعالم، كأساس لتعزيز الإحساس بوحدة الإنسانية. يؤكد "كولن" أن الإنسان لا يعيش بمعزل عن الآخرين، وأن علاقته بالناس حوله تتشكل من خلال الارتباط الروحي العميق الذي يجمع بين أفراد البشرية في وحدة إنسانية شاملة. ويعزز هذا الارتباط الروحي، من فهم الإنسان لمسؤولياته تجاه العالم وأفراده، مما يدفعه للعمل من أجل تحقيق الخير والسلام على مستوى عالمي.

كما يعتبر "كولن" أن الارتباط الروحي بالعالم، يعزز من شعور الإنسان بأنه جزء من كيان أوسع، ويحثه على تجاوز الانتماءات الضيقة، إلى قيم أسمى تعزز التعاون والتفاهم بين الثقافات والأديان. ويرى أن هذا الإحساس بوحدة الإنسانية، يساعد الأفراد على تقدير التنوع الثقافي والديني، ويحثهم على العيش بانسجام مع الآخرين، مما يؤدي إلى تعزيز روح السلام والتعايش السلمي على مستوى العالم.

الأبعاد الإنسانية

تركز "الخدمة" بشكل كبير على المشاريع الخيرية والتنموية، التي تهدف إلى تلبية الاحتياجات الأساسية للمجتمع الإنساني خاصة في مجال التعليم، حيث تؤمن بأن التعليم هو الأساس لبناء مجتمع قوي ومتحضر، ولهذا تسعى لإقامة مدارس توفر تعليمًا بجودة عالية، يسهم في بناء جيل قادر على التعامل مع تحديات العصر. بالإضافة إلى التعليم، تُقدم "الخدمة" مشاريع صحية وخدمات طبية في المناطق التي تعاني من نقص الخدمات الصحية.

كما تنطلق "الخدمة" من مبدإٍ أن التفاهم المتبادل والتعايش السلمي، هما أساس لبناء مجتمعات مستقرة ومزدهرة. ومن ثم يؤكد "كولن" في كتاباته على أهمية الحوار بين الأديان، كوسيلة لتعزيز التسامح وتقليل التوترات التي قد تنشأ بسبب الاختلافات الدينية والثقافية. تسعى حركة "الخدمة" إلى بناء جسور التواصل بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى، من خلال مؤتمرات وندوات تجمع بين مفكرين وعلماء من مختلف التوجهات، مما يساهم في تقوية روح التعايش وتعزيز السلام العالمي.

hiragate.com

لقد أثمرت جهود الحركة في مجال الحوار عن إنشاء منتديات ومؤسسات تُعنى بتعزيز ثقافة الحوار، وتساعد على إزالة الحواجز والتصورات الخاطئة بين الأفراد من مختلف الأديان والثقافات. ويعتبر هذا الجانب الإنساني ركيزة أساسية في فلسفة "الخدمة"، حيث تدرك أهمية تقبل الآخر والعمل معًا، من أجل خير البشرية جمعاء.

الرسالة الواقعية

تتبنى "الخدمة" نهجًا عمليًّا في التعامل مع التحديات المجتمعية مثل الفقر والجهل والصراعات، حيث تسعى لتوفير حلول مستدامة للمشاكل التي تعاني منها المجتمعات بدلاً من تقديم حلول مؤقتة. ومن منظور حركة "الخدمة"، تعتبر مكافحة الفقر مسألة أساسية لتحقيق العدالة الاجتماعية، ولذلك تهتم بتقديم الدعم الاقتصادي للأسر الفقيرة من خلال برامج التنمية والمشاريع الصغيرة، التي توفر فرص العمل والدخل المستدام، حيث يتم تمكين الأفراد للمساهمة في بناء اقتصاد مستقر ورفع مستوى معيشتهم. بالإضافة إلى ذلك، تواجه الحركة مشكلة الجهل، من خلال التركيز على التعليم كوسيلة لتحسين حياة الأفراد وتطوير المجتمعات.

الاستدامة والشمولية

تسعى حركة "الخدمة" لتحقيق استدامة مشاريعها الإنسانية، حيث تهدف إلى إنشاء مشاريع مستمرة تضمن استمرار الفائدة لأطول فترة ممكنة، بدلاً من الاعتماد على حلول قصيرة الأجل. ويتضح هذا النهج في المؤسسات التعليمية والصحية التي أقامتها، حيث تُدار وفق آليات مالية وإدارية تضمن استمراريتها وتوسعها.

كما تسعى حركة "الخدمة" لتحقيق الشمولية في جميع برامجها، حيث تهدف إلى الوصول إلى كل فرد، بغض النظر عن خلفيته الثقافية أو الدينية. تعتمد الحركة مبدأ أن الإنسانية شاملة وتتجاوز الحدود، وتسعى لأن تكون خدماتها متاحة للجميع. ولهذا الغرض، تعمل مؤسسات الخدمة في العديد من البلدان، لتقديم خدماتها التعليمية والصحية والاجتماعية، مما يعزز من وحدة الإنسانية ويربط المجتمعات المختلفة في إطار من التضامن والشراكة الإنسانية.

إن البعد الإنساني، من الركائز الأساسية التي تقوم عليها حركة الخدمة، إذ فلسفتها تعتمد على الفكرة القائلة بأن "خدمة الآخرين" والتضامن مع الإنسان، من أعلى القيم التي يمكن للمرء تحقيقها.

الربط بين الروحانية والواقعية

تُعتبر الروحانية في "الخدمة" أساسًا قويًّا لإلهام الأفراد، وتحفيزهم نحو تحقيق تغيير اجتماعي إيجابي. ومن ثم يؤمن الأستاذ "فتح الله كولن" بأن الإيمان العميق بالله وبالقيم الروحية، يُعد دافعًا قويًّا لخدمة الإنسانية، ويؤدي إلى بناء إحساس عميق بالمسؤولية تجاه الآخرين. لا تقتصر هذه الروحانية على العبادات الفردية فقط، بل تمتد إلى النشاطات الاجتماعية التي تهدف لتحسين حياة الأفراد والمجتمعات. كما يعتبر "كولن" أن الالتزام الروحي، يشكل الدافع الأساسي للعمل الخيري والتطوعي، حيث يتم توجيه هذا الالتزام نحو التغيير الإيجابي في العالم، عبر مشاريع تعليمية وصحية واجتماعية واسعة النطاق، ما يُضفي بُعدًا عمليًّا على الروحانية.

كما أن الإلهام الروحي يدفع المحبِّين في حركة "الخدمة"، إلى تحدي الصعوبات والمساهمة في خدمة المجتمع بشكل متواصل، إذ يرى أبناؤها في عملهم امتدادًا لإيمانهم وتفانيهم الروحي. وهكذا، تشكل الروحانية الحافز الذي يُشعل رغبة حقيقية في إحداث فرق، وهو ما يعزز من تأثير مشاريع الخدمة على المجتمع ويمنحها بعدًا إنسانيًّا عميقًا.

الدمج بين النظرية والتطبيق

تمكنت "الخدمة" من تحقيق توازن فريد بين القيم الروحية والأعمال الواقعية، حيث ترجمت الأفكار والمبادئ الروحية إلى أفعال ملموسة تخدم الإنسان والمجتمع. ومن ثم تعكس مؤسسات التعليم والصحة لديها، مثالاً واضحًا لهذا الدمج بين النظرية والتطبيق، حيث تُعبر القيم الإنسانية كالتسامح والإحسان عن ذاتها في صورة

hiragate.com

أنشطة ملموسة تهدف إلى رفع مستوى المعيشة، وتوفير الفرص للجميع. ولا تقتصر هذه الأنشطة على تقديم المساعدات العاجلة فقط، بل تسعى إلى بناء مجتمعات قوية، وقادرة على الاعتماد على نفسها.

يعتبر "كولن" أن العمل الخيري والخدمة الاجتماعية، هما تطبيق عملي لمفهوم الإحسان والإيمان الحقيقي؛ فالشخص المؤمن لا يكتفي بتطوير ذاته روحيًّا، بل يسعى أيضًا لخدمة الآخرين، وذلك من خلال أفعال واقعية تغير من حياة الناس للأفضل. وبالتالي تسعى حركة "الخدمة" إلى تجسيد القيم الروحية في المشاريع التنموية التي تركز على تحسين التعليم والصحة والبيئة، ما يجعل الروحانية جزءًا لا يتجزأ من العمل اليومي والأهداف العملية.

أثر الروحانية على استمرارية العمل

تُساهم الروحانية في تعزيز الصبر والتفاني في تحقيق الأهداف الإنسانية لدى أبناء الخدمة. يوضح "كولن" أن القيم الروحية تُغذي الصمود أمام التحديات، إذ يرى المتطوعون أن عملهم هو انعكاس لإيمانهم وقربهم من الله. وتساعدهم هذه الروحانية على الاستمرار في العمل، برغم الصعوبات التي قد تواجههم، حيث تعتبرهم مصدرًا للقوة والأمل. تسهم الروحانية في تحفيز الأفراد على الصبر والمثابرة في السعي لتحقيق أهدافهم الإنسانية، سواء كان ذلك في مشاريع التعليم والصحة أو الإغاثة.

علاوة على ذلك، تعمل الروحانية كعامل دعم يُعزز من التزام الأفراد تجاه مهامهم ويُحافظ على استمرارية مشاريع "الخدمة". فالتفاني الناجم عن القيم الروحية يتجاوز الدوافع الشخصية إلى الرغبة الصادقة في إحداث تأثير إيجابي دائم في حياة الآخرين. تعزز هذه الروحانية من شعور المتطوعين بالمسؤولية تجاه تحقيق الأهداف المشتركة وتحقيق استدامة المشاريع التي يعملون فيها، مما يضمن استمرار خدمة المجتمع على المدى الطويل.

تجسد حركة "الخدمة" نموذجًا فريدًا في الربط بين الروحانية والواقعية، حيث تمثل الرسالة الإنسانية التي تسعى لتحقيقها، جسرًا يربط بين قيم الإيمان وأعمال الخدمة الفعلية. وتؤكد الحركة على أهمية الالتزام الروحي كدافع لتحسين ظروف الحياة الإنسانية، من خلال مشاريع تعليمية وصحية واجتماعية تهدف إلى إحداث تغييرات إيجابية في المجتمعات. هذه الرسالة توضح كيف يمكن للروحانية أن تؤثر على الأعمال الإنسانية، مما يجعلها ليست مجرد واجب أخلاقي فحسب، بل دعوة حقيقية للتغيير الذي يتجاوز حدود الأفراد، ويصل إلى قلوب المجتمعات بأسرها.

الآفاق المستقبلية

في ظل التحديات الإنسانية المتزايدة التي يواجهها العالم، يمكن لحركة "الخدمة" أن تلعب دورًا محوريًّا في صياغة مستقبل أكثر إشراقًا. إذ تُعتبر الحركة نموذجًا يُحتذى به في تعزيز التعاون بين الأديان والثقافات، مما يساهم في تحقيق السلام والاستقرار.

إن أهمية الروحانية في الأعمال الإنسانية تتجاوز حدود الفرد، فهي تلعب دورًا حيويًّا في تشكيل المجتمعات، وبناء ثقافة من التضامن والتكافل. إذن، كيف يمكننا تعزيز الإحسان والتسامح في التعامل مع الآخرين؟ وكيف يمكننا أن نكون جزءًا من هذا الجهد الإنساني العالمي الذي يسعى لتحسين الحياة وتخفيف المعاناة؟ ■

(*) كاتب وباحث هندي.

المراجع

(1) Gülen F. (2004). Essays, Perspectives, Opinions. New Jersey: Tughra Books.

(2) Gülen F. (2005). The Statue of Our Souls: Revival in Islamic Thought and Activism. New Jersey: Tughra Books.

(3) Gülen F. (2013). Towards a Global Civilization of Love and Tolerance. New Jersey: Tughra Books.

(4) Hendrick J. D. (2013). Gülen: The Ambiguous Politics of Market Islam in Turkey and the World. New York: New York University Press.

(5) Ünal A., & Williams A. (2000). Advocate of Dialogue: Fethullah Gülen. Virginia: The Fountain.

(6) Yilmaz I. (2013). Islam and Peacebuilding: Gülen Movement Initiatives. Washington, DC: Blue Dome Press.

hiragate.com

محمود شعبان*

من الترفيه إلى التمكين
قوة الألعاب التعليمية

لقد دعا الإسلام إلى التنوع في أساليب التعليم بما يناسب المتعلم وظروفه، رغبةً منه في بناء الإنسان بطريقة متكاملة تشمل الجوانب العقلية والبدنية والروحية. وتُعد الألعاب التعليمية من أنجح الوسائل العصرية المناسبة لتحقيق أهداف تربوية تتفق مع مبادئ الإسلام؛ فاللعب يمكن أن يكون وسيلة لتعليم القيم والمعارف، كما يشير إلى ذلك ما يُنسب إلى عليّ بن أبي طالب ﷺ: "رَوِّحوا القلوبَ ساعةً فإنها إذا أُكرهتْ عميتْ"، وهذا يدل على أهمية الترويح عن النفس، خاصةً إذا كان في إطار يعزز التعلم ويحقق الفائدة.

وفي ذلك يقول المثل العربي: "رُبَّ جِدٍّ جَرَّهُ اللَّعِبُ"؛ فاللعب إذا وُجِّه نحو الخير قد يصبح وسيلة تعبدية تُسهم في بناء الإنسان الصالح والمتعلم المبدع. واللعب في الإسلام ليس غاية في حد ذاته، بل هو وسيلة لتعليم القيم وبناء النفوس.

والألعاب التعليمية هي أنشطة ترفيهية أو تفاعلية مُصَمَّمة لتحفيز التعلم، وتعزيز المفاهيم الأكاديمية أو المهارات الاجتماعية والنفسية. ويمكن أن تكون هذه الألعاب رقمية تعتمد على الحواسيب والأجهزة اللوحية، أو تقليدية تستخدم أدوات بسيطة مثل البطاقات واللوحات.

الألعاب التعليمية في التربية والتعليم

إن التعلُّم من خلال الأنشطة يُعد أحد إستراتيجيات التدريس الفعَّال، والألعاب

أظهرت الدراسات أن حوالي ٦٧٪ من المعلّمين في المدارس الابتدائية، يستخدمون الألعاب التعليمية لتحفيز الطلاب على التعلم. كما تشير التقديرات إلى أن أكثر من ٥٠٪ من المؤسسات التعليمية في الدول المتقدمة، تستخدم الألعاب كجزء من مناهجها.

التعليمية أسلوب مهم من أساليب التعليم، وعلاقتها بغيرها من الأنشطة علاقة تكاملية، وتظهر أهميتها في النقاط التالية:

١- تحقيق أهم مبادئ التعلم، مثل التعلم بالممارسة، والتعلم التعاوني.

٢- توفير البيئة الآمنة للتعلم والاستكشاف، حيث تكون في مأمن من العقاب، وبعيدة عن درجات التقييم وآثارها السلبية على المتعلمين.

٣- زيادة القدرة على التركيز والاستيعاب والملاحظة، وتعزيز الابتكار والإبداع.

٤- تعزيز التفاعل الاجتماعي بين المتعلمين، حيث تعتمد العديد من الألعاب على العمل الجماعي والتعاون، مما يعزز من مهارات التواصل وبناء العلاقات.

٥- تنمية المهارات الحياتية، حيث تساعد الألعاب على تطوير التفكير النقدي، وحل المشكلات، والإبداع، وهي مهارات ضرورية للحياة والعمل في المستقبل.

٦- تنمية المهارات اللغوية للطلاب، مثل القراءة، والكتابة، والاستماع، والتحدث.

٧- تحسين التحصيل الدراسي، حيث تسهم الألعاب التعليمية في تبسيط المفاهيم الصعبة، وتثبيت المعلومات، وتسريع وصولها للأذهان، من خلال ربطها بتجارب عملية أو أمثلة تطبيقية، مما ينعكس إيجابًا على أداء الطلاب الأكاديمي.

٨- تحسين المهارات الحسية، وخاصةً لدى الأطفال، حيث تساهم في إعمال أغلب الحواس.

٩- اكتساب بعض القيم، مثل احترام الآخرين، والتعاون، والانتماء، والثقة بالنفس، من خلال التعامل مع الآخرين داخل إطار اللعبة، والحوار، والمناقشة.

١٠- احترام القوانين؛ فمن خلال القواعد والقوانين داخل اللعبة، قد يتعلم الطفل كيف يحترم إشارة المرور، أو يتقمص دور الطبيب الذي يلتزم بأخلاقيات مهنته.

١١- التسلية، وكسر حاجز الملل، وإدخال البهجة والسرور أثناء العملية التعليمية.

دمج الألعاب التعليمية في المناهج الدراسية

بفضل تطور التكنولوجيا وانتشار التطبيقات الرقمية، أصبح من الممكن دمج الألعاب التعليمية في المناهج الدراسية؛ لتحسين التحصيل الأكاديمي وتعزيز المهارات الحياتية للطلاب. وهي تُستخدم في جميع مجالات التعليم، مثل تعلم اللغات، والرياضيات، والعلوم، والتاريخ، والجغرافيا، والفنون.. إلخ.

ولتحقيق الغاية المنشودة منها ينبغي مراعاة الآليات المناسبة، وهي: اختيار الألعاب المناسبة وفق معايير معتبرة مدى تحقيقها للأهداف، ودرجة ملاءمتها للمتعلمين من حيث العمر والقدرات، ومدى توفر المواد المستخدمة في اللعب، وكونها اقتصادية، ومناسبة للوقت والمناخ، ومدى مساهمتها في تسهيل عملية التعلم.

كما ينبغي مراعاة التوقيت المناسب، بحيث تكون الألعاب جزءًا من خطة الدرس، سواء في عملية التمهيد للدرس، أو عند المراجعة، أو في نهايته، أو عند تلخيص ما تم تعلمه. كما ينبغي توفير البيئة المناسبة؛ لتكون بيئة التعلم مهيَّأة لاستخدام الألعاب، سواء من حيث المساحة أو الأجهزة التكنولوجية.

وينبغي كذلك، الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة التي تتميز بالقدرة على تخزين حجم هائل من المعلومات، والسرعة في المعالجة وعرض النتائج، والعرض المرئي والمسموع للمعلومات بأساليب جذابة والتحكم في ذلك، إضافةً إلى تقديم بيئة افتراضية تحاكي الواقع.

ومن هذه الآليات المناسبة أيضًا، التقييم المستمر، حيث يُفضَّل تقييم مدى تأثير الألعاب التعليمية على التحصيل الدراسي للطلاب بشكل دوري لضمان تحقيق الأهداف المرجوة.

نماذج ناجحة للألعاب التعليمية

• ألعاب الحروف والكلمات، مثل الألعاب التي تعتمد

hiragate.com

على تكوين الكلمات أو ترتيب الحروف، وهي مناسبة لتعليم اللغة.

• ألعاب الرياضيات، مثل لعبة "Math Shark Education-al Insights"، التي تُعلِّم الأطفال عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة، وغيرها من وظائف الحاسبة. وتحتوي كل عملية على ثمانية مستويات، إضافةً إلى الأصوات والأضواء المرافقة للخلفيات.

• الألعاب الرقمية التفاعلية، مثل التطبيقات التي تحاكي التحديات الرياضية أو العلمية، مثل "Kahoot" ولعبة "Quizizz" التي تعزز المشاركة وتنمية الفهم.

• ألعاب جيولوجية، مثل لعبة "Scientific Explorer My Geology Kit"، التي تُعلِّم الطفل كل ما يتعلق بطبقات الأرض، وتمكّنه من بناء مجموعات صخرية، واستخدام أدوات حقيقية للكتابة على الصخور.

والجدير بالذكر أن الألعاب التعليمية تواجه عدة تحديات لا بد من التغلب عليها، ولكن كيف ذلك؟

يجب أن تحقق الألعاب توازنًا بين المتعة وتحقيق الأهداف التعليمية، مع تجنب التركيز المفرط على التسلية. هذا، وقد يواجه بعض الطلاب صعوبة في فهم الألعاب أو المشاركة فيها، ويمكن التغلب على ذلك من خلال تصميم مستويات مختلفة تناسب الجميع. ويمكن -كذلك- دمج الألعاب بشكل مخطط كجزء من الأنشطة اليومية أو الواجبات المنزلية، نظرًا لضيق الوقت في الحصص الدراسية.

ضوابط شرعية عند استعمال الألعاب التعليمية

عند استخدام الألعاب التعليمية، يجدر بالمعلمين وأولياء الأمور، مراعاة بعض الضوابط الشرعية؛ على سبيل المثال، يجب أن تكون هذه الألعاب خالية من المحرمات أو المضامين المخالفة للشريعة، كالعنف المفرط، أو الإساءة للدين، أو التسبب في أضرار نفسية أو بدنية. كما يجب أن تكون وسيلة لتحقيق أهداف تعليمية نافعة وليست مضيعة للوقت، وأن تُستخدم باعتدال دون أن تلهي عن الفروض والواجبات الدينية أو الأسرية.

هذا وقد أظهرت الدراسات حول الألعاب التعليمية، أن حوالي ٦٧٪ من المعلِّمين في المدارس الابتدائية، يستخدمون الألعاب التعليمية لتحفيز الطلاب على التعلم. كما تشير التقديرات إلى أن أكثر من ٥٠٪ من المؤسسات التعليمية في الدول المتقدمة، تستخدم الألعاب كجزء من مناهجها.

واللافت للنظر أن الطلاب الذين يستخدمون الألعاب التعليمية، يتذكرون ٩٠٪ من المواد الدراسية، مقارنة بـ٥٠٪ باستخدام طرق التعليم التقليدية. كما أن ٧٤٪ من الطلاب، يرون أن الألعاب التعليمية تساعدهم على تحسين مهارات التفكير النقدي وحل المشكلات.

وأيضًا، في المجالات الشائعة، بيَّنت الدراسات أن الألعاب الأكثر استخدامًا، هي التي ترتبط بمجالات الرياضيات (٤٠٪)، واللغات (٣٠٪)، والعلوم (٢٠٪). كما تشير الإحصاءات إلى أن أمريكا الشمالية تقود السوق التجاري في هذا المجال، تَليهَا أوروبا وآسيا والمحيط الهادئ، مدعومةً بتطور البنية التحتية الرقمية، واعتماد المدارس والشركات للألعاب التعليمية.

وختامًا؛ إن الألعاب التعليمية ليست مجرد وسيلة للترفيه، بل هي أداة فعالة في تعزيز التحصيل الدراسي وتحفيز الطلاب إذا تم استخدامها بشكل مدروس ومخطط. ومع استمرار تطور التكنولوجيا وتوسع تطبيقات الألعاب في التعليم، يتعين على المعلمين تبنِّي هذه الإستراتيجية ودمجها بطرق مبتكَرة، لتحقيق تجربة تعليمية ممتعة وفعالة. وعندما يتم توجيه هذه الوسيلة بما ينسجم مع تعاليم الإسلام، تصبح وسيلة تكميلية لتحقيق رسالة الدين في بناء الإنسان المتوازن علميًّا وجسديًّا وروحيًّا. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

المراجع

(١) الألعاب التعليمية في التدريس، مجلة البحوث التربوية، كلية المعلمين في الباحة، السعودية، العدد:٥، ص:٢٨٣-٢٨٥، عام ٢٠٠٥م.

(٢) إستراتيجية الأنشطة: الألعاب التعليمية، مجلة رسالة المعلم، وزارة التربية والتعليم، الأردن، المجلد:٥٠، العدد:٢-٣، ص:٤٦-٤٨، عام ٢٠١٢م.

(٣) الألعاب التعليمية: الواقع والتطلعات، مجلة الممارسات اللغوية، الجزائر، العدد:٣، ص:٣١٥-٣٣٠، عام ٢٠١١م.

hiragate.com

د. محمد عباس المغني*

التأصيل الدعوي
لقضية جبر النوافل للفرائض

من القضايا الدعوية المهمة التي نحتاج إليها في خطابنا الديني المعاصر، قضية جبر النوافل المسنونة لما نقص من الفرائض الواجبة، وضرورة التأصيل الشرعي لها في ضوء الكتاب والسنَّة وإجماع الأمة، وتطبيقاتها الشرعية على التكاليف الإلهية للأمة المحمدية عامة، وعلى صيام الستة أيام من شوال خاصة. ومن هنا، يأتي هذا المقال لمعالجة هذه القضية المُلحة تأصيلاً دعويًّا وتطبيقًا عمليًّا.

١- التأصيل الدعوي لقضية جبر النوافل للفرائض

من فضل الله تعالى على عباده المؤمنين، أنه يجبُر الخللَ الذي وقعوا فيه أثناء أداء الفرائض التي أوجبها عليهم، بما يقومون به من النوافل المشروعة؛ مما يزيدُ المسلمَ رغبةً في فضل الله تعالى، وطمعًا في رحمته، فيُقبل على نوافل العبادات ويكثر منها، ليجبُر ما وقع فيه من خلل، ويعوض ما فاته من نقص، ليلقى الله طاهرًا من الذنوب والخطايا، فيفوز برضوانه وجنته في الآخرة.

وقضية جبر النوافل والفضائل للفرائض دل عليها القرآن الكريم،والسنة النبوية وإجماع الأمة. وكم من الآيات القرآنية التي تؤكد هذه القضية وتؤصلها، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾(آل عمران:١٩٥)، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾(هود:١١٤)، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾(الزلزلة:٧)، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾(الأنبياء:٤٧)، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾(القارعة:٦-٩). هذه بعض النصوص القرآنية التي تُقرر هذه القضية وتؤصلها تأصيلاً شرعيًا.

كما تؤكد السنة النبوية المطهرة هذه القاعدة، حيث قال رسول الله ﷺ: "إن أول ما يحاسَب به العبدُ يومَ القيامة مِن عمله صلاتُه، فإنْ صلحَتْ فقدْ أفلح وأنجَح، وإنْ فسَدتْ فقدْ خابَ وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء، قال الربُّ عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوُّعٍ فَيُكمَّلَ بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك" (رواه الترمذي).

وفي ضوء هذه النصوص الشرعية التي أكدت على قضية "جبر النوافل للفرائض"، أجمعت الأمة كما يقول ابن حزم في المحلى: "على أن للتطوع جزءًا من الخير اللهُ أعلمُ بقدْرِه، وللفريضة أيضًا جزء من الخير اللهُ أعلمُ بقدْرِه، فلا بد من أنْ يجتمع من جزء التطوع إذا كثُر ما يوازي جزء الفريضة، ويزيد عليه". وهذا الإجماع له اعتباره الشرعي في التأصيل لقضية جبر النوافل

> من فضل الله تعالى على عباده المؤمنين، أنه يجبرُ الخللَ الذي وقعوا فيه أثناء أداء الفرائض التي أوجبها عليهم، بما يقومون به من النوافل المشروعة؛ مما يزيدُ المسلمَ رغبةً في فضل الله تعالى، وطمعًا في رحمته.

للفرائض، وضرورة تطبيق هذه القاعدة في الواقع العملي للمسلمين في واقعنا المعاصر.

٢- التطبيقات الشرعية لقاعدة "جبر النوافل للفرائض"

إن قاعدة "جبر النوافل والفضائل للفرائض" من القواعد المُسلَّم بها شرعًا، وهي تُطبق في الميزان الإلهي على جميع الأعمال المفروضة على المسلمين.

وفي ضوئها، قرر العلماء أن الحديث السابق "إن أول ما يحاسَب به العبدُ يومَ القيامة مِن عمله صلاتُه، فإنْ صلحَتْ فقدْ أفلح وأنجَح، وإنْ فسَدتْ فقدْ خابَ وخسر" معناه أن أول ما يُحاسب عليه العبد من حقوق الله تعالى يوم القيامة من الفرائض هي الصلاة، وذلك قبل حقوق العباد، فإذا صلحت الصلاة، أي كانت صحيحة وكاملة في الأداء والأركان والهيئات، "فقد أفلح العبد" أي فاز، "وأنجح" أي حصل على المراد والمطلوب، "وإن فسدت" بأن أُديت غير صحيحة أو غير مكتملة أو ضيعها بعدم أدائها، "فقد خاب" بحرمان الأجر والثواب، "وخسر" بوقوع العقوبة عليه واستحقاقه للعتاب واللوم.

وتأتي قاعدة "جبر النوافل للفرائض" لتُطبق على جميع الفرائض والنوافل، لقوله: "فإن انتقص من فريضته شيء، قال الربُّ عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوُّعٍ فَيُكمَّلَ بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك".

ومعنى هذه القاعدة المباركة أنه لو طبقناها على أهم فريضة في الإسلام وهي الصلاة، فمعنى قوله "فإنْ انتقص من فريضته شيء"، يحتمل أن يراد به ما انتقصه

hiragate.com

من السنن والهيئات المشروعة فيها من الخشوع والأذكار والأدعية، وأنه يحصُل له ثواب ذلك في الفريضة، وإن لم يفعله فيها وإنما فعله في التطوع. ويحتمل أن يراد به ما انتقص أيضًا من فروضها وشروطها، أو ما ترك من الفرائض رأسًا فلم يصلّه، فيعوَّض عنه من التطوع، وأنَّ الله سبحانه يقبل من التطوعات الصحيحة عِوضًا عن الصلوات المفروضة.

وقاعدة "جبر النوافل للفرائض" قاعدة عامة، وبعد هذه المحاسبة على الصلاة تأتي المحاسبة على سائر الأعمال وفقًا للقاعدة السابقة: "ثم يكون سائر عمله على ذلك"، أي إن الأعمال الأخرى ستُعامل بنفس المبدأ، فمن كان عليه حقٌّ لأحد يؤخَذ من أعماله الصالحة بقدر ذلك الحق، ويدفع إلى صاحب الحق.

وبهذا، فإن تطبيق قاعدة جبر النوافل لنقص الفرائض يُعد منهجًا إيمانيًّا يُعين المسلم على استدراك ما قصر فيه، ليكون في ميزان حسناته يوم القيامة.

٣- تطبيق قاعدة "جبر النوافل للفرائض" على صيام الست من شوال نموذجًا

يمكننا تطبيق هذه القاعدة على صيام الستة أيام من شوال مع بيان الحكمة الإلهية والمقاصد الشرعية في النقاط التالية:

التطبيقات الشرعية:

تُطبق قاعدة "جبر النوافل للفرائض" على صيام الستة أيام من شوال، حيث يجبر صيامها، أي نقص وقع في صيام رمضان، كما قال النبي ﷺ: "مَن صام رمضانَ ثم أتبعه ستًّا من شوال، كان كصيام الدهر" (رواه مسلم).

أ- الحكمة من صيام الست من شوال: صيام رمضان يُعادل أجر صيام عشرة أشهر، وصيام ستة أيام يُعادل شهرين، فبذلك يكون المسلم كأنه صام الدهر كله. كما أن صيامها يعوض أي خلل أو نقص أو تجاوز وقع في صيام رمضان، وهذا يُشبه السنن الرواتب التي تجبر النقص في الصلاة.

ب- الأحكام الفقهية المتعلقة بحكم صيام الستة أيام من شوال ووقتها: استدل العلماء بحديث "مَن صام رمضان ثم أتبعه ستًّا من شوال، كان كصيام الدهر" على استحباب صيام هذه الستة أيام من شوال، وأنه من السنن المأثورة كرواتب الصلاة، وللمسلم أن يصومها متتابعة بعد عيد الفطر، أو متفرقة حسب طاقته وقدرته، كما يقول ابن قدامة في المُغْني: "فلا فرق بين كونها متتابعة أو مفرقة، في أول الشهر أو في آخره؛ لأن الحديث ورد بها مطلقًا من غير تقييد، ولأن فضيلتها لكونها تصير مع الشهر ستة وثلاثين يومًا، والحسنة بعشر أمثالها، فيكون ذلك كثلاثمائة وستين يومًا وهو السنة كلها، فإذا وجد ذلك في كل سنة صار كصيام الدهر كله، وهذا المعنى يحصل مع التفريق والله أعلم". فلا تحصل فضيلتها إلا بصومها في شهر شوال على هذا الرأي.

وذهب بعض العلماء، إلى أنه يحصل فضل صوم الستة أيام إن صامها المسلم في غير شهر شوال، يقول العدوي في حاشيته على شرح مختصر خليل للعلامة الخراشي المالكي: "وإنما قال الشارع (من شوال) للتخفيف، باعتبار الصوم، لا تخصيص حكمها بذلك الوقت، فلا جرم أن فعلها في عشر ذي الحجة مع ما رُوي في فضل الصيام فيه أحسن؛ لحصول المقصود مع حيازة فضل الأيام المذكورة، بل فعلها في ذي القعدة حسن أيضًا، والحاصل أن كل ما بَعُد زمنه كَثُر ثوابه لشدة المشقة". وعلى هذا، لو صامها المسلم في غير شوال، لحصل له فضل صيامها كمن صامها في شوال.

ويرى بعض الفقهاء أن من صامها في غير شوال أجزأه ذلك، وإن كان أقل رتبة في الفضل ممن صامها في شهر شوال، كما يقول العلامة ابن حجر الهيتمي الشافعي: "وحاصله أن من صامها مع رمضان كل سنة، تكون كصيام الدهر فرضًا بلا مضاعفة، ومن صام ستة غيرها، كذلك تكون كصيامه نفلاً بلا مضاعفة". وعلى هذا، يُسنّ للمسلم والمسلمة أن يصومها في شوال إن تمكن من صيامها، وفي غيره من الشهور إن دعت الضرورة والحاجة لذلك كعذر ونحوه، إعمالاً لمقاصد الشرع الحنيف في تحصيل

hiragate.com

الأجر والثواب للمكلفين. ويؤيد هذا الفهم أن "مِنْ" في الحديث تبعيضية، وعليه تكون الأيام الستة بعض شهر شوال، وإذا اعتبرنا أن "من" لابتداء الغاية، فيكون الصيام للستة أيام من شوال ابتداءً من شهر شوال لأنه أول أشهر الفطر، وغيره من الشهور. ويؤيد هذا المعنى ويقويه ما جاء في بعض الروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ أنه قال: "مَن صام ستة أيامٍ بعد الفِطْر كان تمامَ السنة، مَن جاء بالحسنة فله عشْرُ أمثالِها" (رواه ابن ماجه)، فعدم تقييد الستة أيام بشهر شوال يشهد للمعنى السابق.

جـ- الدلالات الإيمانية والمقاصد الشرعية من صيام الستة أيام من شوال: من أهم الدلالات الإيمانية والمقاصد الشرعية من صيام الستة أيام من شوال ما يلي:

• إن مواصلة الصيام بعد رمضان من علامات قبول صيام رمضان، فمن علامة قبول الطاعة أن يُوفق المسلم إلى طاعة بعدها، فإن الله إذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بعدها بحسنة، كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى. فمن علامات قبول صيام رمضان، أن يعود المسلم للصيام بصيام الستة أيام من شوال.

• إن صيام ستة أيام من شوال، من علامات شكر المسلم لله تعالى على عظيم فضله بمغفرة الذنب والعتق من النيران بصيام رمضان، وقد أرشد الله لذلك في ختام آيات الصوم بقوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(البقرة:١٨٥)، فتكون معاودة الصيام بعد الفطر شكرًا لهذه النعمة، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب، ومن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان وإعانته عليه ومغفرة ذنوبه، أن يصوم له شكرًا عقب ذلك بصيام الستة أيام من شوال.

• إن في العودة للصيام في شوال، اقتداء بالنبي ﷺ في ديمومة الأعمال الصالحة من نوافل الأعمال وفضائلها، فقد كان عمله ﷺ ديمَةً لا ينقطع؛ عن عائشة ﵂ أنها قالت: سُئل النبي ﷺ: أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال: "أَدْوَمها وإنْ قَلَّ"، وقال "اكْلَفُوا من الأعمال ما تُطيقون" (رواه البخاري). فكان يداوم على الصيام والقيام والصدقة بعد رمضان، فعلى المسلم أن يقتدي بنبيه ﷺ.

• إن المحافظة على نوافل العبادات من الصيام والصلاة وغيرها، تجعل المسلم ربانيًا. فقد قيل للإمام بشر الحافي: "إن قومًا يتعبدون ويجتهدون في رمضان فقط! فقال: بئس القوم لا يعرفون لله حقًّا إلا في شهر رمضان، إن الصالح، الذي يتعبد ويجتهد السنة كلها". وسئل الإمام الشبلي: "أيهما أفضل، رجب أم شعبان؟ فقال: كن ربانيًا، ولا تكن شعبانيًا".

• وقد كان النبي ﷺ عمله دِيمَةً، فقد سُئِلت أم المؤمنين عائشة ﵂: كيف كان عملُ النبي ﷺ، هل كان يخصُّ شيئًا من الأيام؟ قالت: "لا، كان عمله دِيمَةً"، أي إنه كان لا يخص شيئًا من الأيام دائمًا ولا راتبًا، وأصل الدِّيمَة المطر الدائم مع سكون، فشبّهت عائشة ﵂ عمله ﷺ في دوامه مع الاقتصاد وترك الغلو بدِيمَة المطر.

• وفي البخاري، سئلت السيدة عائشة ﵂: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ فقالت: "ما كان رسول الله ﷺ يَزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشْرةَ ركعةً"، مما يدل على مشروعية وفضل المداومة على الأعمال الصالحة واستمراريتها، وعدم ارتباطها بزمان معين.

• فعمل المؤمن لا ينقضي حتى يأتيه أجله، فالله تعالى لم يجعل للأعمال الصالحة أجلاً دون الموت، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾(الحجر:٩٩).

فينبغي على المسلمين أن يأخذوا الدرس من مدرسة الصيام، والتي تدربوا فيها على الأعمال الصالحة، وذلك بالمداومة على الأعمال الصالحة من الصيام والقيام وقراءة القرآن والذكر والدعاء وفضائل الأعمال، آملين من الله تعالى أن يجبر ما وقعوا فيه من نقص، وأن يعفو عما وقعوا فيه من تقصير، سائلين الله سبحانه القبول، والعفو في الدنيا والآخرة. ■

(*) رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، القاهرة / مصر.

hiragate.com

محمد جمال حليم*

الأخلاق
بين الإسلام وغوايات البشر

لك أن تتخيل وأنت تسير وسط عالم مليء بالغيوم ما قد يصيبك من أذى، لأنك لا تدري أين تذهب ولا كيف تتجه، بل ولا تعرف حتى أين تضع موضع قدمك. أسئلة كثيرة تعتريك، ومخاوف عظيمة تنتابك وأنت تخترق صفوف الظلام على أمل أن ترى النور يومًا.

هذا هو شأن الإنسان الذي آثر أن يبتعد عن منهج الله تعالى؛ فتراه يسير في الأرض حيران، تتخبطه غيوم الجهل وتأخذه متاهات الأوهام، فكلما نجا من واحدة زلت قدمه لأخرى، وهكذا لا يستقيم له بنيان ولا يُرجى له قرار.

لقد خلق الله ﷻ الإنسان وصوَّره في أحسن صورة فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(التين:٤)، وأمدَّ له الكون بما فيه لخدمته، وأعطاه ما لم يعطِ غيره من المخلوقات من فضائل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾(الإسراء:٧٠). وبجانب هذا كله، وضع له منهجًا يحميه من غوايات البشر ومكائد الشيطان، وجعل له عِبرة فيمن سبقه من بني جنسه يستفيد من تجاربهم، ويستنير بهدايتهم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(الأنعام:١٥٣)، ومع ذلك يؤثر مناهج البشر على منهج الله ﷻ، فيزرع في وادٍ غير ذي زرع، في تحدٍّ عقيم وتبلد جسيم!

جدل الأخلاق بين الفلاسفة

كثرت كلمات العلماء قديمًا حول مناهج الأخلاق وعلاقتها بالإنسان، في محاولة منهم للإجابة عن تساؤل مهم زَفَّته لهم طبائعُ عصورهم، وهذا التساؤل هو: هل بإمكان الإنسان أن يعيش بلا أخلاق، ويتعامل مع غيره بواقع المنفعة؟

وقد اجتهدوا في إجابة هذا التساؤل، وطالت أبحاثهم في ذلك؛ فمنهم من رأى أن المنفعة وحدها هي التي تحدد سلوك الإنسان الأخلاقي، فمصلحة الفرد عنده هي النطاق الأخلاقي الذي يتحرك فيه مع غيره،

وكلما استطاع انتزاعها دونما إضرار زاد -في نظرهم- ترقّيه الأخلاقي. لكن هناك من اعتبر استحالة أن يعيش الإنسان بمعزل عن الأخلاق، وقد انتشرت نظرياتهم التي همَّشت نظرية النفعية إلى حد كبير.

لكن وقَع الخلاف بينهم من جديد حول مصدر هذه الأخلاق، ومن أين يكتسبها؟ وبعيدًا عن النظريات الفلسفية الكثيرة، فإن نظرة فاحصة على الكون، هدت بعضهم للإذعان لقوة علوية تحكم الكون وما فيه، وأن مردَّ كل ما يصلح للإنسان -باعتباره وحدة بناء هذا الكون- إلى هذه القوة التي هي عندنا نحن المسلمين "الله"، فالله وحده هو مصدر كل خير للبشرية، وقد وضع للكون نظامًا محكمًا، فيه أسباب بقائه وحياته المستقرة: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(الملك:١٤).

واقع مرير

المؤسف في الأمر، أنه -وبعد انتهاء التنظير القديم حول ماهية الأخلاق ومصدرها، والإجابة عن تساؤلات الأمس- لا يزال منَّا من يعيش هذه المرحلة المتأخرة، محكِّمًا مصلحته الشخصية فوق المصلحة العامة، متأثرًا إلى حد بعيد بتلك الكلمات التي تُعارض منهج السماء.

فإن كان السفسطائيون يقولون: "إن اللذة هي علامة العدالة، وإنها هي سيادة الأقوى وإذعان الأضعف له، وإن الجميع يبتغون السعادة، فلا ضرورة للخضوع لأي قانون، لأنه يكفي أن يتعهد الإنسان في نفسه أقوى الشهوات حتى تتحقق العدالة والفضيلة والسعادة، إذ على الشخص أن يستخدم ذكاءه وشجاعته لإرضاء شهوته مهما بلغت من قوة"، فإنه قد أصبحت الأخلاق الحديثة تُستمد من القيم المادية النفعية، تحدوها ميكافيلية صريحة، وأضحى التعامل الاجتماعي قائمًا على رابطة المصلحة وحدها، وعلى الأخلاق التجارية.

ويا ليت المنادين بالنفعية اقتصرت كلماتهم على ما يحقق ذواتهم ويشبع رغباتهم، لكنهم اتخذوها مذهبًا دعوا إليه وحرصوا على وجوده، وأخذوا يُعْمِلون فيه عقولهم بالتطوير والتقنين. فلقد تطور هذا الاتجاه النفعي في أوروبا وأمريكا، وأخذ صورًا مختلفة (شخصية، عامة، وعلمية)، وهذا الأخير هو

المنهج الإلهي لا يقتصر على تنظيم الأخلاق فقط، بل هو خطة عبور من الدنيا إلى الآخرة، حيث جنة الله ورضوانه بأمان وسلام. وهذا المنهج يشمل المنهج الأخلاقي الذي ينظم حياة الإنسان بغيره من البشر، بل وبغيره من الكائنات.

"المذهب البراغماتي" الذي يمثله "جون ديوي".

وما يؤسَف له فعلاً، وقليل من ينتبه إليه وسط حالة من الضبابية والنفعية التي سيطرت على العالم العربي والإسلامي، أن "جون ديوي" ممثل المذهب البراغماتي، يُرجع المُثُل الأخلاقية إلى نتائج الظروف الواقعية للإنسان، فهي عنده إذن ليست مبادئ مطلقة ثابتة يضعها الفلاسفة، كما أنها ليست من وضع المجتمع ولا من وضع السماء.. فأي خطأ يُحتقر، وأي بلاء يُنتظر؟

المسؤولية الأخلاقية والمخرج المنشود

يركز الأستاذ "فتح الله كولن" -رحمه الله- على أهمية المسؤولية الأخلاقية تجاه المجتمع، ساخرًا من العبارات التي تستهزئ بها، كقول البعض: "الربان الماهر هو الذي ينقذ سفينته"، قائلاً: "ليس شيء من هذا يخطر على قلب مؤمن". ثم يبين أنه لا يليق بشعورنا بالمسؤولية أن نستنكر عدم الشعور بالمسؤولية ثم نمضي، لأن هذا جزء من الانحراف الفكري، وعلينا أن نحمل المسؤولية، ونبث الروح الجديدة في دنيانا، مشبعة بالإيمان وحب الإنسان والحرية، وتجهيز البيئة لترسيخ الجذور المعنوية.

ويوضح الأستاذ "كولن" أنه لا بد من إصلاح هذا الانحراف؛ "لتظهر آثار الشعور بالمسؤولية على علاقة العامل بالعمل، والزارع بالزرع، والمعلم بالطالب، وليتحقق كل ما كنا نتظره منذ عصور".

ويختم الأستاذ "كولن" هذا المعنى بقوله: "لا بد من ضبط كل جهد بالمسؤولية؛ فطريقنا حق، وقضيتنا حمل الحق، وغايتنا تحري الحق، لذا وجبت علينا صدقة الإرادة، وهي تحمّل المسؤولية والجهاد المعنوي، بالعلم والأخلاق والحق والفضيلة، فلْنُلِم شعث أمتنا، لنعيش معاني "الانبعاث بعد الموت" عن طريق الاتصال بلواء الحمد".

hiragate.com

منهج الله في خلقه

إذا كان الإنسان هو صنعة الله تعالى، فهو وحده -سبحانه- الذي يعلم ما ينفعه وما يضره، لذا فقد وضع الله ﷻ له منهجًا اشتمل على أسباب عيش الإنسان في الحياة بلا كدر أو ضيق، وإن أعرض عنه ورفضه لازمته الحسرة والندامة، وحلت به أسباب الشقاوة والتعاسة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾(طه:١٢٤).

وهذا المنهج الإلهي، لا يقتصر على تنظيم الأخلاق فحسب، بل هو بمثابة خطة عبور من الدنيا إلى الآخرة، حيث جنة الله ورضوانه بأمان وسلام. وهذا المنهج -بلا شك- اشتمل على المنهج الأخلاقي الذي ينظم حياة الإنسان بغيره من البشر، بل وبغيره من الكائنات.

فالآخر الذي يتفاعل معه الإنسان ويأخذ منه ويعطيه، ليس شرطًا أن يكون بشرًا؛ فالجمادات في النظام الأخلاقي الإسلامي لها حقوق، كما الطير والنباتات والحيوانات. والناظر في سيرة المعصوم ﷺ، يرى كم اهتم الرسول الكريم بشأن هذه الأشياء؛ فلقد دخلت امرأة النار في هرَّة حبستها، لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، ودخل آخر الجنة في كلب وجده يلهث من شدة الحر فسقاه. ولقد أقر الإسلام في نظامه العام، أنه "في كل كبد رطبة أجر". ومن لا يعلم الصحابي الجليل "عبد الرحمن بن صخر" الذي ارتبطت كنيته بكائن ضعيف هو "الهرة"، حتى صارت عَلمًا عليه (أبو هريرة)؟

ولم يقف الأمر عند الحيوانات فحسب، بل كان من وصايا الرسول ﷺ في الحروب، ألَّا يقطع شجرًا، ولا يحرق بيتًا، ولا يهدم خيمة على أحد يتعبد فيها.. في تأصيل بديع لخلق عظيم، وهو خلق الرحمة.

الرحمة في الإسلام

الرحمة، وهي واحدة من عناصر النظام الأخلاقي في الإسلام، اتسع مفهومها حتى شمل الحياة بأسرها؛ ففي الحديث النبوي الشريف: "لن تؤمنوا حتى تَراحموا"، قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم. قال: "إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة" (رواه الطبراني).

وإذا كان هذا هو الشأن في مراعاة الإسلام للأخلاق مع غير الإنسان، فما بالنا بهذا المخلوق المكرم؟ لقد نظم الإسلام علاقة الإنسان بأخيه الإنسان أيًّا كان دينه ومعتقده، فجعل لكلٍّ حقوقًا، وعليه واجبات، تختلف باختلاف صفة هذا الإنسان؛ جارًا كان أو زوجًا، أو أبًا أو أمًّا، أو صديقًا أو غير ذلك.

نظام أصيل

فالأخلاق في الإسلام ليست نافلة، بل هي منهج قويم ونظام أصيل، مرتبط بشدة بالعقيدة. وما أحسن ما عرّف به الأستاذ "فتح الله كولن" الأخلاق حين قال: "الخُلُق يأتي بمعنى رسوخ الدين، والعيش به، وامتثال القرآن دون خلل". ويستدل على هذا، بجواب أمّنا عائشة ﵂ عندما سُئلت عن خُلُق رسول الله ﷺ، فأجابت: "فإن خُلُق نبي الله ﷺ كان القرآن" (رواه مسلم). كما يستشهد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم:٤).

ويشرح الأستاذ "فتح الله كولن" -رحمه الله- قائلًا: "الآية الكريمة تذكّر بالذات الإلهية، لأنه هو المتكلم، ويشهد بالخُلُق العظيم لرسوله ﷺ، ثم تبين الآية مصدر هذه الأخلاق، وأنها قرآنية تجلت وظهرت على سيد الخلق ﷺ، وهي أخلاق لا تقاس بأي نظام آخر إطلاقًا".

جزاء الالتزام بالأخلاق وعاقبة التفريط فيها

يترتب على الالتزام بالأخلاق ما أعده الله للمؤمنين في الجنة، وعلى تركها والتفريط فيها ما أعاذ الله منه عباده من النار؛ فالعبادات -على جلال قدرها- لا تشفع لمنتهكي الأخلاق الذين يعيثون في الأرض فسادًا.

قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله، فلانة تصوم النهار وتقوم الليل، وتؤذي جيرانها؟ قال: "هي في النار". قالوا: يا رسول الله، فلانة تصلي المكتوبات، وتَصَّدَّقُ بالأَثْوار من الأَقِطِ، ولا تؤذي جيرانها؟ قال: "هي في الجنة" (رواه الإمام أحمد).

جعلنا الله من المتمسكين بمنهجه، السائرين على درب نبيه، الملتزمين بأخلاق الإسلام قولًا وعملًا. ■

(*) كاتب وصحفي مصري.

المراجع

(١) ونحن نقيم صرح الروح، محمد فتح الله كولن، ترجمة: عوني عمر لطفي أوغلو، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م.

(٢) التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح، محمد فتح الله كولن، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٦م.

hiragate.com

خلف أحمد محمود أبو زيد*

الباراسيكولوجي
الخوارق بين الوهم والحقيقة

١ الباراسيكولوجي هو علم يُعنى بالبحث في الظواهر الخارقة والقوى الغامضة، مثل التخاطر، والجلاء البصري والسمعي، والقدرة على تحريك الأشياء بالفكر، واختراق الماضي والمستقبل، والتعرف على مواقع المياه والمعادن في باطن الأرض، وغيرها من الطاقات الكامنة التي بدأت تخضع للأساليب العلمية والمعملية منذ عدة عقود. وقد شهد البحث العلمي في هذا المجال طفرات متقدمة، مع تطور الأساليب التقنية.

هذا الفرع من العلم، الذي أفردت له الجامعات ومراكز الأبحاث أقسامًا خاصة، يشرف عليه علماء يؤمنون بوجود ظواهر غريبة تستحق الدراسة، ويسعون إلى رصدها وتحليلها بأساليبَ موضوعية ومحايدة لاكتشاف آلياتها وقوانينها. ويعتمد البحث في هذا المجال على مناهج التحقق من الفروض العلمية، وتحويلها إلى نظريات قابلة للتجربة والاختبار، وصولاً إلى ترسيخها كحقائق علمية، مما جعل البعض يطلق على الباراسيكولوجي لقب "علم المستقبل".

الظواهر الخارقة ما هي؟

الظواهر الخارقة هي أحداث استثنائية تختلف عن الظواهر الطبيعية، لندرتها وعدم مألوفيتها. غير أن هذه الخصوصية تجعلها ذات قيمة علمية استثنائية، إذ لطالما أسهمت دراسة الظواهر النادرة في تطور العلوم المختلفة. فكثيرًا ما لاحظ العلماء ظواهر غير مألوفة خلال أبحاثهم، أدت إلى تطورات علمية هامة.

من الأمثلة على ذلك، شعور داخلي ينتاب شخصًا بشأن حدث معين، فيقع بعد ساعات، أو تذكر شخص لم يُذكر منذ سنين، ثم الالتقاء به فجأة بعد دقائق. كذلك،

قد يحلم شخص بحادثة معينة، ثم تتحقق كما رآها وكأنه كان على علم مسبق بها[1]. وهناك أيضًا حوادث غريبة تناقلتها الكتب والروايات، مثل الكرامات التي نُسبت لبعض الأولياء والمتصوفة وأصحاب البصيرة، الذين يُقال إن لديهم القدرة على قراءة أفكار الآخرين، أو اكتشاف معلومات تخصهم دون استخدام الوسائل التقليدية في ذلك.

تاريخ الأبحاث الباراسيكولوجية

أدى الاهتمام المتزايد بدراسة الظواهر الخارقة، إلى قيام مجموعة من الأكاديميين في جامعة كامبريدج البريطانية بإنشاء أول جمعية متخصصة لدراسة هذه الظواهر، وهي "جمعية بحث الخوارق"، وذلك عام ١٨٨٢م. وكان أول رئيس لها الفيلسوف "هنري سيدويك"[2]. وقد ساهمت هذه الجمعية في تنظيم دراسات الظواهر الخارقة، ووضْع معايير للبحث العلمي في هذا المجال كما أصدرت دورية متخصصة ذات مستوى أكاديمي، مما ساهم في تحول دراسة الظواهر الخارقة تدريجيًّا إلى علم نظري.

وفي عام ١٨٨٥م، قام مجموعة من الأكاديميين الأمريكيين -وعلى رأسهم عالم النفس الشهير "ويليام جيمس"- بتأسيس جمعية بحث الخوارق الأمريكية في بوسطن. وتركزت بحوث الجمعيتين البريطانية والأمريكية على دراسة الحالات الخارقة وإجراء البحوث الميدانية. وقد نشرتا العديد من التقارير والبحوث التي ساعدت في تطوير المعرفة بهذا المجال.

لكن التحول الحقيقي في دراسة الظواهر الخارقة، حدث في العقد الثالث من القرن العشرين، مع ظهور البحوث المختبرية لهذه الظواهر على يد عالم بيولوجيا النبات "جوزيف راين". فقد أجرى "راين"، دراسات حول الظواهر الخارقة في ظروف مختبرية مضبوطة، وأخضع نتائج بحوثه لتحليلات إحصائية دقيقة، مما أدى إلى ظهور فرع جديد يُعرف اليوم بـ"الباراسيكولوجيا التجريبية".

إن "جوزيف راين" هو من وضع مصطلح "باراسيكولوجي"، حيث اشتقه من الألمانية[3]. وقد ساهمت أبحاثه في إنشاء أول مختبر متخصص في الباراسيكولوجي بجامعة ديوك، مما جعل دراسة الظواهر الخارقة تخضع لمعايير البحث العلمي التجريبي، كما هو الحال مع الظواهر الفيزيائية. وهكذا، تحول الباراسيكولوجي إلى علم يُمكن إخضاع نتائجه للتقييم الكمي والنوعي، وفق الأساليب العلمية المتبعة في العلوم التقليدية الأخرى.

وقد ساعد تبني المنهج التجريبي المختبري في دراسة الظواهر الخارقة، على إعطاء هذا العلم زخمًا قويًّا، مما مكنه من فرض نفسه كعلم لا يقل منهجية عن بقية العلوم المعترف بها.

علم الملكات الخارقة

تركزت الأبحاث التجريبية في مجال الباراسيكولوجي على نوعين رئيسيين من الظواهر الخارقة، هما التحريك الخارق، والإدراك الحسي المسبق. ويمكن إيجازهما كما يلي:

التحريك الخارق: يشير التحريك الخارق إلى قدرة الإنسان على التأثير في الأجسام عن بُعد، دون استخدام أي وسيلة فيزيائية مدرَكة، مثل الجهد العضلي أو أي نشاط للجهاز الحركي في الجسم. يستطيع الأشخاص الذين يمتلكون هذه القدرة تحريك الأشياء دون لمسها بأي جزء من أجسادهم، ومن غير استخدام أي وسائط نقل للحركة التقليدية، كالمعدات أو الهواء.

يفسر بعض العلماء هذه الظاهرة بأنها هيمنة الذهن على المادة، ويعتقد بعض علماء الآثار أنه قد يكون لهذه الطاقة دور في بناء المعابد والأهرامات القديمة، خاصة في العصور التي لم تكن فيها وسائل نقل أو آلات رفع أثقال كما نعرفها اليوم[4].

كما يشمل التحريك الخارق القدرة على نقل الأشياء من مكان إلى آخر، أو استحضارها من أماكن بعيدة خلال لحظات. وأبرز مثال على هذه القدرة، ما ورد في القرآن الكريم عن النبي سليمان عليه السلام، عندما جيء بعرش "بلقيس" في لحظة زمنية وجيزة، مما يمكن تفسيره بأنه طاقة نفسية مكّنت صاحبها من استحضار الأشياء ونقلها بسرعة فائقة[5].

الإدراك الحسي الفائق

تم استخدام هذا المصطلح لأول مرة في منتصف العشرينيات من القرن الماضي، لكنه انتشر على نطاق

hiragate.com

واسع بعد أن نشر "جوزيف راين" عام ١٩٣٤م كتابه الشهير "الظواهر أو الإدراك الحسي الفائق"، الذي تضمّن خلاصة تجاربه العلمية في جامعة ديوك. كان لهذا الكتاب أثرٌ بالغ في إدخال الأساليب العلمية لدراسة هذه الظواهر، والتي يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع:

١- توارد الخواطر: يُقصد بتوارد الخواطر، انتقال الأفكار والصور العقلية بين الكائنات الحية، دون الاستعانة بأي من الحواس التقليدية. فهو شكل من أشكال الإدراك خارج مجال الحواس، وله تطبيقات كثيرة في الحياة اليومية، حيث يكثر بين الأفراد الذين تجمعهم علاقات عاطفية قوية، مثل الأم وطفلها، أو الزوج وزوجته، أو بين الأشقاء.

يعتقد العلماء أن فهم آليات توارد الخواطر، قد يفتح آفاقًا جديدة في مجال التواصل الإنساني، إذا أمكن التحكم به وتوظيفه بطريقة فعالة.

٢- الإدراك المسبق: يشير الإدراك المسبق، إلى قدرة الإنسان على توقع أحداث مستقبلية قبل وقوعها. وهناك نوع مشابه يُعرف بالإدراك الاسترجاعي، وهو القدرة على معرفة أحداث من الماضي دون الاستعانة بأي من الحواس التقليدية، أو وسائل اكتساب المعلومات المعروفة.

٣- الاستشعار (الاستبصار): الاستشعار أو ما يُعرف بالاستبصار، هو القدرة على اكتساب معلومات عن حادثة أو جسم بعيد، دون استخدام أي من الحواس التقليدية. ويرى العلماء أن الاستبصار يمثل تجاوزًا لحاجز المكان، وقد خضع لدراسات علمية مكثفة.

من أشهر أمثلة الاستبصار في التراث الإسلامي ما رُوي عن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، حين حذّر أحد قادته في ساحة المعركة من وجود العدو خلف الجبل، بينما كان في المدينة المنورة على بُعد مئات الأميال، وقد تلقى القائد التحذير وعمل به.

علم المستقبل

يطرح الباراسيكولوجي تساؤلات علمية جوهرية، جعلته في نظر العديد من العلماء علمًا واعدًا قد يكون له تأثير كبير في تشكيل مستقبل الحضارة الإنسانية. ومن أبرز هذه التساؤلات: هل يمكن للقدرات الكامنة

مع تزايد الشعور بضرورة إحداث تغييرات جذرية في الحضارة الحالية، يرى بعض الباحثين أن الباراسيكولوجي قد يكون المفتاح لهذا التغيير، لأنه يُسلط الضوء على الإمكانات غير المستغلة للعقل البشري.

لدى الإنسان، أن تساهم في بقائه في ظل التقدم العلمي القادم؟ هل من الممكن أن يتمكن الإنسان، بفضل هذه الطاقات، من التأقلم مع الظروف المستقبلية على كوكب الأرض؟ هل يستطيع الإنسان استخدام هذه القدرات للتواصل مع مخلوقات وكائنات أخرى، إذا ما اضطر للانتقال إلى كواكب بعيدة؟

مع تزايد الشعور بضرورة إحداث تغييرات جذرية في الحضارة الحالية، يرى بعض الباحثين أن الباراسيكولوجي قد يكون المفتاح لهذا التغيير؛ لأنه يُسلط الضوء على الإمكانات غير المستغَلة للعقل البشري. وقد عبّر عن هذا المفهوم رائد الفضاء "إدغار ميتشل" بقوله: "يبدو لي أن وجودنا نفسه أصبح يعتمد قبل أي شيء آخر، على وجوب إيقاظ الضمير وتطوير الذهن".

وبذلك، فإن الباراسيكولوجي قد يمثل نقلة حضارية جديدة، قد تفوق في أهميتها ثورتي الزراعة والصناعة، من خلال إبراز الطاقات الروحية والعقلية الكامنة لدى الإنسان، وتوظيفها لصالح البشرية جمعاء. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

الهوامش

(١) علم واعد أم خرافة علمية؟ الباراسيكولوجي، حواس محمود، مجلة العربي، الكويت، العدد: أغسطس ٢٠٠١م.

(٢) الظواهر الخارقة والباراسيكولوجيا المعاصرة، د. جمال نصار حسين، مجلة الهلال، العدد: مارس ١٩٩٧م.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الباراسيكولوجي والتحريك النفسي، د. لؤي فتوحي، مجلة البحرين الثقافية، العدد:١٩ (يناير ١٩٩٩م).

(٥) الباراسيكولوجي أو وراء علم النفس، محمد العزب موسى، مجلة الدوحة، العدد: نوفمبر ١٩٨٣م.

أ.د. عبد العظيم أحمد عبد العظيم*

في حضرة الوحي
خصائص من كتبوا كلام السماء

كانت الكتابة قليلة في بلاد العرب حين ظهر الإسلام، وكان الكُتَّاب في مدن الجزيرة العربية آنذاك أفرادًا معدودين. وقال "البلاذري" وهو يتحدث عن الكتابة في مكة: "دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب"، وقال عن الكتابة في يثرب: "إن الإسلام جاء وفيهم عدة يكتبون"، وذكر منهم أحد عشر كاتبًا، هم أُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعثمان بن عفان، وشرحبيل بن حسنة، وجهيم بن الصلت، وخالد بن سعيد، وأبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي، ومعاوية بن أبي سفيان، وحنظلة بن الربيع رضي الله عنهم أجمعين. أما الطبري فقد ذكر أسماء عشرة من كتابه، مضيفًا علي بن أبي طالب، ومختزلاً شرحبيل بن حسنة، وجهيم بن الصلت.

وذكر المسعودي أسماء ستة عشر كاتبًا، مضيفًا إلى قائمة البلاذري والطبري الأسماء الآتية: المغيرة بن شعبة، والحصين بن نصيرة، وعبد الله بن الأرقم، والعلاء بن عقبة، والزبير بن العوام، وحذيفة بن اليمان، ومعيقيب الدوسي ﷺ. وقال المسعودي مبينا وجهة نظره في عدد الكتَّاب الذين ذكرهم: "وإنما ذكرنا من أسماء كتابه من ثبت على كتابته، واتصلت أيامه فيها وطالت مدته، وصحت الرواية على ذلك من أمره دون من كتب الكتاب أو الكتابين والثلاثة، إذ كان لا يستحق بذلك أن يسمى كاتبًا ويضاف على جملة كتَّابه".

ونلاحظ من كلام المسعودي أنه كان للنبي ﷺ كتاب، ليس للرسائل فقط، بل هناك من كتَّاب الوحي،

أو الرسائل، أو الصدقات، أو المعاملات، أو المداينات، أو المغانم، أو لأغراض إحصائية، وما إلى ذلك.

أما ابن عبد البر، فقد سمّى لنا ثلاثة وعشرين كاتبًا، وإذا استبعدنا من قائمته الذين ذكرهم البلاذري والطبري والمسعودي، نجد أن قائمته تزيد على قائمتي الطبري والمسعودي بالأسماء الآتية: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد، وعبد الله بن رواحة، ومحمد بن مسلمة، وعبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول، وعمرو بن العاص ﷺ أجمعين.

وذكر الديار بكري أسماء أربعة وثلاثين كاتبًا استوعبت القوائم المشار إليها، مع زيادة متمثلة في طلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، والأرقم بن أبي الأرقم، وعبد الله بن زيد بن عبد ربه، وسعيد بن العاص، وحويطب بن عبد العزى العامري، وأبي سلمة بن عبد الأسد، وحاطب بن عمرو بن حنظلة رضي الله عنهم أجمعين، وقال: "قيل: إن كتّابه نيف وأربعون، وأكثرهم ملازمة له زيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان بعد الفتح". وأوصلهم العراقي إلى اثنين وأربعين.

ويفهم من هذه النصوص أن كُتّاب الوحي المعتمَدين هم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، وإن غاب هؤلاء تولى الكتابة من حضر من الكُتّاب، وهم: معاوية بن أبي سفيان، وخالد بن سعيد، وأبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي، وحنظلة بن الربيع ﷺ. وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب الوحي ثم ارتد عن الإسلام، ثم رجع إلى الإسلام يوم فتح مكة وحسن إسلامه. قال ابن تيمية: "وكان حنظلة بن الربيع، خليفة كل كاتب من كُتّابه إذا غاب عن عمله".

خصائص كُتّاب الوحي

لم يكن اختيار النبي ﷺ لكُتّاب الوحي اختيارًا عشوائيًا، بل كان مبنيًا على ضوابط دقيقة. وربما يكون هؤلاء الكتبة ممن ذكرهم الله لنبيه ﷺ تشريفًا لهم وإعلاءً لقدْرهم في هذه الأمة الربانية. ومن ثَم، تميَّز كُتّاب الوحي بعدة خصائص، منها:

إن كُتّاب الوحي كانوا نخبةً من الصحابة، اجتمع فيهم العلم والفصاحة، والورع وحُسن الفهم، وتحمل الأمانة العظيمة التي خُصُّوا بها في كتابة القرآن الكريم وحفظه للأجيال القادمة.

حراء

١- قوة الحفظ والتذكُّر: كان أول عهد الصحابة بالقرآن حفظه في الصدور، وحينما أُمروا بحفظه في السطور أظهروا براعة في كليهما، مما يدل على قوة الحفظ والتذكُّر، وهي مَلَكةٌ ضرورية لكتّاب الوحي. وقد ساعدت هذه الملكة لاحقًا في تيسير جمع القرآن في مصحف واحد.

ومن دلائل هذه المهارة، أن زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي ﷺ، كان عمره عند قدوم النبي ﷺ إحدى عشرة سنة. استصغره النبي ﷺ يوم بدر فردَّه، ثم شهد غزوة أُحد -وقيل لم يشهدها- وكانت أول مشاهده غزوة الخندق. وقد أمره النبي ﷺ بتعلُّم السريانية فتعلمها، ثم أصبح كاتبًا للوحي، وكتب بعد النبي ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وكان زيد بن ثابت بن الضحاك حافظًا لبيبًا عالمًا عاقلاً. وقد ورد في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ أمره بتعلُّم كتاب يهود، ليقرأه عليه إذا كتبوا إليه، فتعلَّمه في خمسة عشر يومًا. وروى الإمام أحمد عن زيد قوله: ذُهِبَ بي إلى رسول الله ﷺ فأُعجب بي، فقالوا: يا رسول الله، هذا غلام من بني النجار، معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة. فأعجب بذلك رسول الله ﷺ وقال: "يا زيد، تعلَّم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي". قال زيد: فتعلمت كتابهم، وما مرَّت خمس عشرة ليلة حتى حذقته، وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب".

٢- سرعة البديهة والإدراك: تميَّز كُتّاب الوحي ﷺ بسرعة الانتباه، وإدراك ما لا يدركه الآخرون، نظرًا لعِظَم الأمانة التي تحملوها. ومثال ذلك، أن عثمان بن عفان ﷺ سُئل: ما حملكم على أن عمدتم إلى سورة الأنفال -وهي من المثاني- وإلى سورة براءة -وهي من المئين-

hiragate.com

فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما "بسم الله الرحمن الرحيم"، ووضعتموهما في السبع الطوال؟

فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه شيءٌ دعا من كان يكتب، فيقول: "ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا"، وإذا نزلت عليه الآية يقول: "ضعوا هذه الآية في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا". وكانت "الأنفال" من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت "براءة" من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقُبِض رسول الله ﷺ ولم يُبيّن لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنتُ بينهما، ولم أكتب بينهما "بسم الله الرحمن الرحيم"، ووضعتهما في السبع الطوال.

٣- المعرفة التامة بعلوم القرآن: لما كان كُتَّاب الوحي هم أول من خطَّت أقلامهم الآيات فور نزولها، أصبحوا من أكثر الصحابة معرفة بالقرآن الكريم، ومثال ذلك ما ورد عن علي بن أبي طالب ﷺ، حين سُئل: "لِم لَم تُكتب "بسم الله الرحمن الرحيم" في سورة براءة؟، فقال: لأنها أمان، وبراءة نزلت بالسيف.

كما رُوي عنه أنه حينما سُئل عن معنى قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾(الفرقان:٣٢)، قال: هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف.

وقال الأئمة: لا يجوز لأحد أن يفسِّر كتاب الله إلا بعد أن يعرف الناسخ والمنسوخ.

٤- الطلاقة اللغوية: لما كان القرآن الكريم معجزًا بلاغيًا، كان لا بد أن يتميز كُتَّاب الوحي بالفصاحة والبيان. وكان علي بن أبي طالب ﷺ من أفصح العرب، وهو صاحب "نهج البلاغة".

ويُروى أن النبي ﷺ قال: "أنا أفصح قريش كلها، وأفصحها بعدي أبان بن سعيد بن العاص" (تفسير القرطبي).

٥- تحمُّل المسؤولية: تُعد كتابة القرآن وجمعه من أعظم المهام في تاريخ الأمة، إذ إن ضياع حرف واحد يعرِّض الرسالة كلها للتحريف. وكان كُتَّاب الوحي على قدر هذه المسؤولية، كما يتضح من قول زيد بن ثابت ﷺ عندما كُلِّف بجمع القرآن: والله، لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن.

٦- علو الهمة: أنزل الله القرآن الكريم ليتدبره الناس ويعملوا به، وكان كُتَّاب الوحي من أسبق الصحابة إلى الخيرات. فعلي بن أبي طالب ﷺ كان يملك أربعة دراهم، فتصدَّق بدرهم ليلاً ودرهم نهارًا، ودرهم سرًّا ودرهم علانية، فنزلت فيه الآية:

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(البقرة:٢٧٤).

وعن حنظلة الكاتب الأسيدي ﷺ، وكان من كُتَّاب النبي ﷺ، قال: كنا عند النبي ﷺ، فذكرنا الجنة والنار حتى كأنَّا نراها رأي العين، فلما خرجنا من عنده عافسنا الأزواج والأولاد فنسينا. فقلت لأبي بكر: نافقتُ! فقال: وما ذاك؟ قلت: نكون عند النبي ﷺ فيذكِّرنا الجنة والنار حتى كأنَّا نراها رأي العين، فإذا خرجنا عافسنا الأزواج والأولاد فنسينا. فقال أبو بكر: إنا لنفعل ذلك. فأتيتُ النبي ﷺ، فذكرت له ذلك، فقال: "يا حنظلة، لو كنتم عند أهليكم كما تكونون عندي، لصافحتكم الملائكة على فُرُشِكُم وفي طُرُقِكُم، ولكن يا حنظلة، ساعة وساعة" (رواه مسلم).

بهذا، يظهر جليًا أن كُتَّاب الوحي كانوا نخبةً من الصحابة، اجتمع فيهم العلم والفصاحة، والورع وحُسن الفهم، وتحمل الأمانة العظيمة التي خُصُّوا بها في كتابة القرآن الكريم وحفظه للأجيال القادمة. ■

(*) أستاذ جغرافيا الأديان، وكيل كلية الآداب، جامعة دمنهور / مصر.

المراجع

(١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

(٢) أسباب النزول، الواحدي، دار الكتب العلمية، ١٩٨٠م.

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: خليل شيحا، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠م.

(٤) إعراب القرآن، النحاس، تحقيق: زهير زاهد، عالم الكتب، ١٩٨٨م.

(٥) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ط٣، مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٩م.

(٦) البداية والنهاية في التاريخ، ابن كثير، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٨هـ.

(٧) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، ١٩٧٢م.

د. أحمد محمد القزعل*

التسمية الحميدة
وتشكيل هوية الأبناء

قالوا: لكلّ شخص من اسمه نصيب، إنْ خيرًا فخير، وإنْ شرًّا فشر. ولا شك أن الاسم الجميل الحسن، يضفي على الشخصية هيبة وكمالاً. والاسم عنوان للمسمى ودليل عليه، وهو علَم يميزه عن غيره. ولقد أمر الإسلام باختيار الاسم الحسن للولد؛ حفاظًا على شخصيته مستقبلاً، وبغية استقرار نفسيته وقدرته على التكيف مع الآخرين. وقال عليه الصلاة والسلام: "إنكم تُدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم؛ فحسِّنوا أسماءكم" (رواه الإمام أحمد)، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أحبّ أسمائكم إلى الله تعالى: عبد الله، وعبد الرحمن" (رواه مسلم).

التسمية بأسماء الأنبياء فضيلة

التسمية بأسماء الأنبياء فضيلة اعتادت فعلها بعض الأمم السالفة، فقد كانت

الاسم هو هوية تلازم الشخص طوال حياته، وتساهم بشكل كبير في تشكيل شخصيته وتصوراته عن ذاته، ومن خلال اختيار الأسماء، يمكن للآباء أن يعمقوا من ثقة الأبناء بأنفسهم، ويشجعوهم على السعي نحو النجاح.

تسمّي أبناءها بأسماء أنبيائها وصالحيها، وقد أخرج الإمام مسلم -رحمه الله- عن المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت نجران سألوني، فقالوا: إنكم تقرؤون "يا أخت هارون" وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: "إنهم كانوا يسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم". وكان عليه الصلاة والسلام ينادي المولود بكنيته لا باسمه، فيقول لأبي عمير: "يا أبا عمير، ما فعل النغير؟" (رواه الإمام أحمد).

وقد روى أبو داود عن أبي شريح: أنه كان يسمّى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: "إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكم"، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني؛ فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين، فقال: "ما أحسن هذا، فما لك من الولد؟" فقلت: شريح ومسلم وعبد الله، قال: "فمن أكبرهم؟"، قلت: شريح، قال: "فأنت أبو شريح".

سرّ استحباب تسمية المولود بالاسم الحسن

قال الشيخ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي في "حجة الله البالغة"، في تسمية المولود ما نصه: اعلم أن أعظم مقاصد الشريعة، أن يدخل ذكر الله في تضاعيف ارتفاقاتهم الضرورية؛ ليكون كل ذلك ألسنة تدعو إلى الحق، وفي تسمية المولود بذلك إشعار بالتوحيد، وأيضًا فكان العرب وغيرهم يسمّون الأولاد بما يعبدونه، ولمّا بعث النبي عليه الصلاة والسلام مقيمًا لمراسم التوحيد، وجب أن يُسنّ في التسمية مثل ذلك، وإنما كان الاسمان "عبد الله، وعبد الرحمن" أحبّ من سائر ما يضاف فيه العبد إلى اسم من أسماء الله تعالى، لأنهما أشهر الأسماء، ولا يطلقان على غيره، بخلاف غيرهما. وأنت تستطيع أن تعلم من هذا، سرّ استحباب تسمية المولود بمحمد وأحمد، فإن طوائف الناس أولعوا بتسمية أولادهم بأسماء أسلافهم المعظّمين عندهم، وكاد يكون ذلك تنويهًا بالدين، وبمنزلة الإقرار أنه من أهله".

الابتعاد عن الأسماء المكروهة

كما ينبغي على الوالدين الابتعاد عن الأسماء المكروهة، وكذلك الأسماء التي لا تتناسب مع خشونة الرجل أو مع أنوثة البنت، فيُختار للطفلة الاسم الذي يتناسب معها دون أن يكون فيه تشبّه بالرجال. ولقد ثبت بالسُّنة النبوية الشريفة أن النبي ﷺ قد غيّر بعض الأسماء المكروهة، ومن ذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ غيّر اسم "عَاصِيَة"، وقال: "أنت جميلة" (رواه أبو داود)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت جُوَيْرِيَةُ اسمها بَرَّة، فحول رسول الله ﷺ اسمَها جُوَيْرية، وكان يكره أن يقال: خرج من عند بَرَّة.

وإذا أردتم أن تعرّفوا تأثير الأسماء في مسمياتها، فتأملوا ما رواه الإمام مالك عن يحيى بن سعيد: أن عمر بن الخطاب قال لرجل: ما اسمك؟ قال: جمرة، قال: ابن من؟ قال: ابن شهاب، قال: ممّن؟ قال: من الحرقة، قال: أين مسكنك؟ قال: بحرَّة النار، قال: بأجتها؟ قال: بذات لظى، قال عمر: أدرك أهلك فقد هلكوا واحترقوا. فكان كما قال عمر بن الخطاب ﷺ.

ختامًا، لا يمكننا تجاهل التأثير العميق الذي يمكن أن يتركه الاسم على حياة الفرد منذ لحظات ولادته، فالاسم ليس مجرد مجموعة من الحروف، بل هو هوية تلازم الشخص طوال حياته، وتساهم بشكل كبير في تشكيل شخصيته وتصوراته عن ذاته، ومن خلال اختيار الأسماء بعناية يمكن للآباء أن يعمقوا من ثقة الأبناء بأنفسهم ويشجعوهم على التفاؤل والسعي نحو النجاح، بل وقد يساهمون في تعزيز مكانتهم الاجتماعية في المستقبل؛ لذلك يجب أن نحرص على اختيار الأسماء التي تحمل المعاني الإيجابية وتُعزز من القيم الأخلاقية التي نود أن نغرسها في أبنائنا، فالاسم الحسن هو هدية ثمينة تُقدم للأطفال، تمثل بداية مشرقة لحياة مليئة بالأمل والطموحات. ■

(*) دكتوراه في الفقه الإسلامي وأصوله / سوريا.

hiragate.com

عبد النبي نصر*

آخر تمتمات الروح

ليلٌ ودمعُ تشردٍ وشحوبُ ... وقصائدٌ بالذكرياتِ تذوبُ

بالأمسِ أغنيةُ الصغارِ ودُمْيَةٌ ... واليومَ قبلَ الأمنياتِ أشيبُ

لي في عيونِ الأرضِ آخرُ ضحكةٍ ... وعلى كفوفِ الراحلينِ نحيبُ

الدارُ تذكُرُهُ، شقوقُ البابِ ... وجهُ أخي وذاكَ الطيبُ

وأنينُ مسبحةٍ ونافذةٌ بكتْ ... شوقًا، وَحَنَّتْ للقاءِ دروبُ

بالأمسِ زمَّلتِ السنينَ كفوفُهُ ... واليومِ يَفترشُ الضلوعَ لهيبُ

ما زالَ في كلِّ الأماكنِ ضاحكًا ... وأغيبُ عن ذاتي، وليسَ يغيبُ

وأبي، إمامُ النورِ، قِبلةُ أدمعي ... ما الشعرُ إلا في هواهُ يطيبُ

لولا اليقينُ لنبأتْهُ قصائدي ... للعاكفينَ على الرشادِ نصيبُ

في الصفحِ أحمدُ، وابنُ آذرَ كفُّهُ ... والحُسنُ يوسفُ والشجى يعقوبُ

جمعَ الفضائلَ في زمانٍ شابَهُ ... ليلٌ خؤونٌ ليسَ عنهُ يتوبُ

الأرضُ تعتنقُ الدموعَ جفونُها ... وغروبُ ضحكتِها يليهِ غروبُ

وأبي، تئنُّ الروحُ حينَ أقولُها ... عيني مهاجرةٌ، وثَمَّ نحيبُ

ومعي تموتُ الآنَ كلُّ دقيقةٍ ... ضوءُ النوافذِ بائسٌ وغريبُ

أحتاجُ ضحكاتِ السنينِ، تُعيدني ... منذ ارتحلتَ ووجههنَّ كئيبُ

أحتاجُ من كفِّ القصيدةِ ضمةً ... فالجرح غادرَ دونَه المحبوبُ

أحتاجُ، لا أحتاجُ غيرك يا أبي ... فالعمرُ دونَ العمرِ ليسَ يؤوبُ

(*) شاعر وأديب مصري.

مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

مجلة علمية ثقافية أدبية فصلية
تصدر عن دار الانبعاث للنشر والتوزيع

رئيس التحرير
صابر المشرفي

مدير التحرير
إسماعيل قايار

سكرتير التحرير
أحمد السيد

الإخراج الفني
أحمد شحاته

تصميم الغلاف
محمد نور الدين

نوع النشر
مجلة فصلية تصدر كل ثلاثة أشهر

الطباعة
دار الجمهورية للصحافة

رقم الإيداع
٢٤٢٦١

ISSN 2357-0229-101

المنحى العام

- حراء مجلة علمية ثقافية أدبية تعنى بقراءة الكون والإنسان والحياة من منظور قرآني حضاري إنساني.
- تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن علميًّا وفكريًّا وسلوكيًّا.
- تسعى إلى أن تكون إضافة نوعية مفيدة في الساحة الثقافية شكلًا ومضمونًا.
- مجلة حراء ملتقى للفكر الإيجابي الحضاري البنّاء.
- تنطلق من رؤية حضارية تستمد طاقتها من ثراء الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية والأسرة الإنسانية لمعالجة قضايا الواقع واستشراف آفاق المستقبل.
- تسعى إلى معالجة المعارف الإنسانية من منظور تآلفي بين العقل والقلب، والعلم والإيمان، والفرد والمجتمع، والروح والمادة، والنظري والتطبيقي، والمحلي والعالمي، والأصالة والمعاصرة.
- تحرص على الصحة في المعلومة، والإيجابية في الطرح، والعمق في التحليل، والإثارة في الكتابة، والحرية في التعبير مع احترام المقدسات والخصوصيات، والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المشتركة، والإنصات إلى الآخر، والانفتاح على الحكمة الإنسانية حيثما كانت، والحوار البنّاء الذي يخدم الإنسان ويفيده؛ كما تحرص على الابتعاد عن الإقصاء والاستفزاز والإساءة والعنف والتطرف والسطحية والسلبية فيما تنشر.
- تهدف إلى الجمع بين عمق الفكرة، وجمالية الصياغة، وبساطة العبارة، ووضوح المعنى في أسلوب الكتابة.

معايير النشر

- أن تكون المادة المرسلة جديدة لم يسبق نشرها.
- ألا تتجاوز عدد الكلمات ١٥٠٠ كلمة. وهيئة التحرير لها الحق في التصرف تلخيصًا واختصارًا.
- المادة المرسلة تخضع لتحكيم لجنة علمية استشارية، ولهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء تعديلات على المادة قبل إجازتها للنشر.
- المجلة تحتفظ بحقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وطبقًا للتوقيت الذي تراه مناسبًا.
- للمجلة الحق في أن تكتفي بنشر المادة المرسلة إليها في موقعها على الإنترنت دون استئذان كاتبها ما لم يؤكد الكاتب أثناء الإرسال رغبته في النشر في المجلة الورقية حصريًّا. علمًا بأن ما ينشر إلكترونيًّا لا يترتب عليه أي مكافأة مالية.
- المجلة تلتزم بإبلاغ الكتاب بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- للمجلة حق إعادة نشر المادة منفصلة أو ضمن مجموعة من المقالات بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة أخرى دون استئذان صاحب المادة.
- المقالات المنشورة في مجلة حراء تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- مجلة حراء لا تمانع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- مجلة حراء ترجو كتابها الأكارم أن يرسلوا مع المادة نبذة مختصرة عن سيرتهم الذاتية مع صورة واضحة لهم.

ترسل جميع المشاركات إلى البريد الآتي: hiragate@yahoo.com

IRAQ
Kani Irfan Publishing English Village N°9 / Erbil
Phone: +964 750 713 8000
hiragate@yahoo.com

USA
Tughra Books
345 Clifton Ave.، Clifton، NJ، 07011، USA
Phone: +1 732 868 0210
Fax: +1 732 868 0211
hiragate@yahoo.com

EGYPT
٢٢ ج جنوب الأكاديمية، التجمع الخامس، القاهرة الجديدة، القاهرة.
اشتراك وتوزيع هاتف: +201000780841
hiragate@yahoo.com

NIGERIA
Nusret Educational And Cultural Co. Ltd.
Aguiyi Ironsi St. No: 77/B Maitama - Abuja
Phone: +2349030222525
hiragate@yahoo.com

للتواصل مع إدارة المجلة | hiragate@yahoo.com
+20 114 782 4322

بحث عن تفسير الآيات في الأنفس والآفاق

تطواف واسع في خلق الإنسان

حكايا الجسم البشري التي لا يحكيها أحد

آخر ما صدر عن مكتبة حراء

مركز التوزيع: دار الانبعاث | daralinbiath@gmail.com

+20 102 320 1002

حراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

حان الوقت

أرَى الدّنيا قَدِ انْحَرَفَتْ وَصَـارَ المَـيْلُ عُـنْوانا
خُطَاهَا تَبْتَغِي رَبْطًا وَضَبْـطًا مِثْلَـما كـانا
وَوَجْـهُ ظَلامِـها يَـهْفُو لـنورِ هُـدًى تَـغَـشَّـانا
لقَـدْ مَالـتْ بِنَا دَهْـرًا وعَلَّ الوقْتَ قَـدْ حَـانا

ISSN 2357-0229
02
9 772357 022004
www.hiragate.com